جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

دقة بدقة

الطبعة الثانية



دار المعارف

مسْرحَيات شكسْبير

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

دقـــة بدقـــة

ترجمة وتقديم

ابراهيم زكى خورشيد

مراجعـــة

شـفيق غربـــال ـ محـمد بـدران

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كتبت هذه المسرحية ما بين سنتى ١٦٠٣ و ١٦٠٤ ، وهذا التاريخ موضع خلاف النقاد ومؤرخى المسرح ، كما أن تاريخ تمثيلها أيضاً موضع خلاف ، والراجح أنها مثلت فى البلاط الإنكليزى سنة ١٦٠٤ ، ونشرت سنة ١٦٢٣ .

وقصة المسرحية تقوم على حادثة يقال إنها وقعت فى فرارا بإيطاليا فى القرون الوسطى ، وقد أخذها شكسبير من مجموعة الروايات تسمى « هيكاتوميشى » بقلم جيرالدى كنشيو .

وتتلخص هذه الأسطورة فى أن دوق فينا ذهب فى مهمة سرية ، وترك سلطته لأنجلو وهو رجل صارم الخلق ، مضى يطبق قوانين قديمة تعاقب الفسق بشدة لا رحمة فيها . وقبض أنجيلو على كلوديو وقضى عليه بقطع رأسه ، واستشفعته إيزابيلا أخت كلوديو متوسلة إليه أن يبقى على حياة أخيها وراقت إيزابيلا فى عين أنجيلو وأخذ يغريها على تسليم نفسها إليه ، وعرض عليها أن ينقذ حياة كلوديو إذا هى أذعنت لرغباته واستجابت لشهواته ، فأبت إيزابيلا واستعصمت .

وعاد الدوق إلى فينا متنكراً ، وسمع بقصة إيزابيلا واستقر عزمه على أن يوقع

بأنجيلو ، وحمل إيزابيلا على أن تضرب له موعداً ، وأوحى لماريانا وهى فتاة تنكر أنجيلو لعهدها ، بأن تتخذ شخصية إيزابيلا فى الموعد المضروب مع أنجيلو ، فتستجيب ماريانا لنصحه .

ودبر الدوق الأمر بحيث يكشف خداع أنجيلو وخيانته ، ثم عمد فى النهاية إلى إظهار شخصيته الحقيقية ، وأزاح القناع عن خبيئة أنجلو وجريرته وأجبره على الزواج بماريانا وعفا عنه ، وتزوج هو إيزابيلا وجعلها دوقة لفينا .

ولم يختلف النقاد فى مسرحية لشكسبير اختلافهم فى هذه المسرحية ، فبعضهم يسرف فى نقدها ويرى أنها من المسرحيات غير المحببة التى تترك فى نفوس مشاهديها مرارة لا يسهل الخلاص منها ، وفيها فسق وفساق من نوع عجيب ، كما أن العدل فيها تشوبه العيوب والمآخذ فالحلول التى التمست لمشاكلها فيها بُعد عن الطبيعة ومجافاة للواقع ، ومن هؤلاء النقاد سوينبرن وكولريدج .

ولعل هذين الناقدين وإضرابهما قد أسرفوا فى النقد ، على حين أنصف المسرحية الناقد العظيم هازلت فقال إنها «حافلة بالعبقرية كما هى حافلة بالحكمة» .

وأنصفها أيضاً الشاعر الإنكليزى الكبير جون ماسفيلد إذ أثنى عليها ثناء عاطراً بقوله : «إنها من أعظم آثار أعظم عقل أنجبته إنكلترة فهى تتناول فى إنصاف حالة رجل جعل النزعة العاطفية الجامدة تقف حاجزاً أمام شعور طبيعى حى وقد انتقمت روح أنجيلو من شكسبير نفسه إذ أصبحت الملك الحارس للمسرح البريطانى» .

والظاهر أن شكسبير قد احتضن فكرة أن فضائل التعقل والتدبر لا تكون فى

بعض الأحيان نابعة من الفضيلة نفسها ، وإنما هى تنبع من شىء من الفقر الشديد فى الطبيعة ، وقد ترجع العفة أحياناً إلى ضحالة فى العقل أو جحود فى العاطفة أو خوف فى الفطرة ، وقد ترجع أحياناً إلى تفكير سليم وعقل ناضج ، وفى هذه المسرحية جعل شكسبير العفتين تتصارعان ، تنبعث الأولى من نار تتأجج فى شخصية إيزابيلا ، فتجعلها تفضل الموت على تلويث نفسها وتسبغ عليها تلك المساحة المشرقة ، التى يتسم بها أولئك الذين يعيشون فى سبيل المبدأ ويبذلون من أجله النفس والنفيس ، بل يموتون فى سبيله وتنبعث الأخرى عن الشح الرخيص يحمل أنجيلو على إغواء إيزابيلا بدلاً من أن يتزوجها بلا بائنة . العفتان قد تبلغان مبلغ العقد النفسية ، وتسمو كل منهما بجانب من الحياة ترفعه فوق الحياة نفسها وهما تؤديان بصاحبيهما مثل سائر العقد إلى حزن يتملكه ، إذا هو اصطدم بشىء من الواقع .

وشخصيتا إيزابيلا وأنجيلو هما الحدث الذى تدور حوله المسرحية ، التى تقوم على الصعوبة التى تكتنف تحقيق العدل فى عالم من الحيوانات تحركه الشائعات ، وهذا الموضوع بالذات قد شغل عقل شكسبير طوال حياته الخلاقة . فالحكمة تبدأ بالعدل . ولكن كيف يتأتى للإنسان أن يكون عادلاً بدون أن يُفهمه الله فيعرف حكمته ؟ ومن منا لم يخطئ حتى يجلس فى مقام الحكم على الآخرين . ومن منا أوتى من الحكمة ما يجعله يكشف عن ضمائر الآخرين ويزن الأفعال التى ينساق بالإغراء والغواية ويمسك الميزان بالقسط فلا يميل به الميزان ؟ فما بالك إذا تعرض العدل لجريمة الجنس المحفوفة من قديم بالغواية والشباب وسورته والحب وأنانيته وضلالاته وشطحاته وعذاباته ! !

ونحن إذا حللنا شخصيات المسرحية فإننا قد نعيب على الدوق تخليه عن واجبه وتركه مهمة الحكم الممقوته لغيره ، ثم إننا قد نأخذ عليه زواجه المفاجئ بإيزابيلا آخراً . أما أنجيلو فإننا نحقد على خسته حيال إيزابيلا ، وقد يغتفر له البعض زلته ، وهو إلى ذلك كله يمتاز بأنه أقرب شخصيات المسرحية إلى الطبيعة مع ضعفه وأما إيزابيلا ، فإن ثمة نقاداً يرون أنها بلغت من جحود العاطفة ما ينأى بها عن الواقع .

ومهما يكن من شيء فإن شكسبير يُقِر الضعف البشرى ويصور شخصيات عجيبة ويضع على لسانها أقوالاً فيها من التغلغل فى نفوس البشر بأقل أن نجده فى غيره من الكتاب والشعراء .

ويرى جون ماسفيلد أن هذه المسرحية أثر من آثار الفكر الذى لا يهاب ولا يحجم . وهى حافلة البراعات التى تميز كتابة المسرحيات أكثر من أية مسرحية أخرى ، وشعرها ونثرها يجريان فى نعومة ويسر وتألق وإشراق يحمل المرء على القول بأن شكسبير ليس شاعراً يقول الشعر ، وإنما هو شمس ساطعة .

ويزيد هازلت على اعترافه بأن هذه المسرحية حافلة بالعبقرية والحكمة ، فإن طبيعة موضوعها فيها إثم أصيل يمنع المرء من أن يقبل على الموضوع بقلبه ، ذلك أن قلة الذرائع الخلقية التى بثها الكاتب فى المسرحية فى تضاعف مشاهد العاطفة .

ونبضات الطبيعة الغلابة تكاد لا تدانيها أية مشاهد فى أثر من آثاره . ولكننا نحس عامة بأن المسرحية تفتقد العاطفة فمشاعرنا تتأذى من جميع الوجوه والعاطفة الوحيدة التى تؤثر فى المسرحية هى عاطفة أنجيلو ، ومع ذلك فإنه يكن

عاطفة للنفاق أشد من عاطفته نحو الهوى . وكذلك فإننا لا نتعاطف مع عفة إيزابيلا الجامدة ولو أنها كانت لا تملك من التصرف غير ما فعلت ، ففيها من التسامى المطلق ما يشعرنا بشىء من التصنع ، أما الدوق وهو شخصية مؤثرة غاية التأثر غامضة كل الغموض فى المسرحية ، فإنه قد انشغل بخطته الشخصية أكثر من انشغاله بتحقيق الخير لدولته . وأما كلوديو فإنه الشخصية الوحيدة التى كانت مشاعر طبيعية ، ومع ذلك فإنه وضع فى ظروف من المحنة تكاد تنبئ بالرغبة فى الخلاص . وكانت ماريانا تحب أنجيلو ، وهو شخصية كريهة ممقوتة . ونحن نجد فى هذا الصدد أن شيكسبير يرسم العواطف والأهواء وهى تتعاون وتتصارع مما يثير تعاطف القارئ والمشاهد مع هذه الشخصيات . والظاهر أن مبدأ إثارة الكراهية قد بلغ الذروة فى رسم شخصية برناردين فى هذه المسرحية ، ذلك أن برناردين لا يكتفى بتحدى آراء الآخرين فحسب ، بل لقد بلغ به الأمر حد التخلى عن كل مقتضيات الحشمة واحترام النفس .

وقد كان شكسبير بوجه من الوجوه أقل الكتاب رعاية للأخلاق المتعارف عليها ، فهو قد آمن بأن مبادئ الأخلاق حافلة بالمتناقضات . وكانت موهبته تقتضيه التعاطف مع الطبيعة البشرية على اختلاف ألوانها ومستوياتها ، ونزعاتها ونزغاتها ، ومنحدراتها وتحليقاتها فهو قد كان يعتقد أن الشرور فيها جانب من الخير .

ومن أروع المشاهد المسرحية فى الرواية اللقاء بين كلوديو وأخته إيزابيلا حين أقبلت تنبئه بشروط أنجيلو لإطلاق سراحه . وفى الحوار الذى دار بينهما ارتفع شكسبير إلى قمة البلاغة والحكمة ، ويزداد هذا المشهد روعة حين يبدى كلوديو

تمسكه بالحياة ، وحين يلقى الدوق وهو متنكر فى شخصية الراهب موعظته فى المضى على التنكر لها وعدم الإقبال عليها .

ذلك أن شبابك السعيد كله يصبح وكأنه الشيخوخة يلتمس الصدقة لكهل أعجزه الشلل ، وإن كنت عالية السن غنية فقدت حميتك والتهاب عاطفتك وقوتك وجمالك وأصبحت فلا تستطيعين الاستمتاع بثروتك . فماذا يبقى لك من هذه التى يسمونها الحياة ؟ على أن هذه الحياة تخفى فى أحشائها ألف ميتة . وبعد ذلك كله تخشى الموت الذى يسوى بين هذه المتناقضات جميعاً .

الدوق : إذن فأنت ترجو العفو من اللورد أنجيلو ؟

كلوديو : ليس للشقى من دواء إلا الأمل ، وإنى لآمل أن أعيش وإن كنت مستعدًّا للموت .

الدوق : وطن نفسك على الموت ، وسواء كتبت لك الحياة أو الموت فإن ذلك أعذب عندك وأشهى . ولتجادل الحياة بهذا المنطق : إننى إذا فقدتك فقدت شيئاً لا يتشبث به إلا الحمقى ، فما أنت إلا نفس يتردد ، تتحكم فيه كل المؤثرات السماوية ، ولا تنقطعين ساعة عن تعذيب ذلك الجسم ، وإنك لست إلا حمقاء يعبث بك الموت ، تجاهدين فى سبيله بمحاولتك الفرار منه ، فتزدادين سعياً إليه على الدوام . ثم إنك لست نبيلة ، لأن كل ما تحملين من بهاء وجلال قد شب وترعرع فى أحضان الخسة والدناءة . وليس فيك من الشجاعة شىء لأنك تخافين لسان الدودة الحقيرة

المتشعب على نعومته ورقته . إن راحتك الكبرى فى النوم ، تستجلبينه كثيراً ، فلم تفرقين من الموت ، وهو لا يزيد على النوم فى شىء ، إن مظهرك أيتها الحياة غير مخبرك ، لأن وجودك قائم على ذرات لا تحصى خلقت من تراب . وأنت لا تنعمين بالسعادة ، لأن ما ليس فى يدك تجاهدين وتدأبين على الجهاد للحصول عليه ، وما فى يدك تنسينه . ثم إنك لا تستقرين على حال ، لأن مزاجك يتقلب تقلبات عجيبة يتغير وجوه القمر . وأنت فى غناك فقيرة ، لأنك كمثل الحمار ينوء ظهره بسبائك الذهب تحملين أثقال ثروتك إلى حين ، ثم يأتى الموت فيجردك من حملك . وليس لك من صديق . لأن أمعاءك نفسها التى تعترف بأنك مولاتها وسيدتها ، أمعاءك التى خلقتها من صلبك أنت ، تلعن النقرس والسعقة والزكام لأنها لم تعجل بالقضاء عليك . وليس لك شباب ولا شيخوخة ، وما هما فى الحق إلا نوم يدرك المرء بعد العشاء فيحلم بالاثنين جميعاً . وبعد فجدير بنا أن نذكر ما زعمه بعض النقاد من أن أروع ما قيل فى وصف عيون المرأة هو قول شكسبير فى هذه المسرحية :

أبعدى بالله عنى هاتين الشفتين ، أبعديهما
فما أعذبهما من ناكرتين للعهود والمواثيق ،
وهاتين العينين تسطعان كفلق الصبح

فتضلا بنورهما ضوء النهار
ولكن ردّى إلىّ قبلاتى ، ردّى إلىّ قبلاتى
فقد ضاعت عهود الحب وولت كأنما لم يكن لها وجود

إبراهيم زكى خورشيد

مسرح الرواية : فينا

أشخاص الرواية

فنسنشيو	: الدوق
أنجلو	: نائبه
إسكالس	: لورد مسن
كلوديو	: سيد شاب
لوشيو	: رجل غريب الأطوار
فاريوس / **محافظ**	} سيدان على شاكلته
توماس / **بيتر**	} راهبان
قاض	
ألبو	: حارس من سواد الحرس
فروث	: سيد فارغ العقل
بومبى	: مهرج وخادم للسيدة المستهلكة
أبهورسن	: جلاد
برثردين	: سجين داعر

إيزابيلا : أخت كلوديو

ماريانا : خطيبة أنجلو

جولييت : محبوبة كلوديو

فرنشسكا : راهبة

السيدة المستهلكة: قواده

(لوردات وضباط ومواطنون وغلام وحجاب)

الفصل الأول

المشهد الأول

قاعة مجلس الشورى فى قصر الدوق بفينا

(إسكالس وغيره من المستشارين جالسين إلى منضدة ، وقد جلس الدوق فى كرسى الحكم ووقف حاجبان بالباب يحملان رمحيهما) .

الدوق : إسكالس

إسكالس : مولاى

الدوق : لو أننى شئت أن أبسط لك أصول الحكم لكنت كمن يتكلف الحديث ويتصنّع المقال ، ذلك أنه لا مناص لى من التسليم بأن علمك فى هذا الشأن يفوق كل ما فى استطاعتى أن أبذله لك من رأى ومشورة . ولم يبق إذن إلاّ أن تضم كفايتك إلى علوّ قدرك وتطلق لهما العنان . فأنت عليم بطبيعة شعبنا ونظم مدينتنا ، ونصوص قوانيننا العامة ، علماً يفضل علم كل رجل نذكره ممن أوتوا الدراية وحنكتهم التجربة . هاك وثيقة تفويضنا ، وإنا لنود ألا تحيد عنه . يا غلام ، هلم ، أدع أنجلو للمثول بين يدينا .

(ينحنى الحاجب ويخرج)

على أية طريقة فيما تظن سيمثلنا ؟ فأنت تعلم بلا شك أننا قد اخترناه من دون الناس ليقوم مقامنا فى غيابنا ، وأسبغنا عليه هيبتنا ، وحبوناه بحبنا وزودناه فى وكالته عنا بكل ما فى يدنا من أسباب السلطان . فما رأيك فى ذلك ؟

إسكالس : إن كان فى فينا رجل يستحق أن يحظى بمثل هذا الفضل الواسع والشرف الكبير فهذا الرجل هو أنجلو .

الدوق : انظر ، ها هوذا مقبل .

(يدخل أنجلو ويجثوا أمام الدوق)

أنجلو : إنى أنا المطيع دائماً لمشيئة عظمتكم قد أتيت لأستمع إلى أوامركم .

الدوق : (يحملق فيه) يا أنجلو إن فيك من الصفات ما يتجلى بأجلى بيان لمن يرقب سيرتك . وأنت وما تتحلى به من مواهب لست ملكاً خالصاً لنفسك حتى تبددها فى سبيل فضائلك ، أو تقف فضائلك على ذاتك . فإن موقف السماء منا كموقفنا من المشاعل ، لا نشعلها لتضىء لنفسها . وما لم تنطلق فضائلنا لتخرج عن نطاق نفوسنا ، فيستوى أن تكون هذه الفضائل فينا أو لا تكون . والنفوس لا تسمو إلا إذا صبت إلى الغايات النبيلة ، وما مثل الطبيعة إلا كمثل الآلهة المدبرة المقتصدة . لا تعر أحداً قط مثقال ذرة من نعمها إلا إذا دلّت عليه بعزتها واقتضته ما يقتضيه الدائن من المدين من شكر على

ما أقرض وفائدة على ما أعطى . ولكنى أوجه خطابى إلى رجل قادر على أن يعلمنى الحكم وقد نيط به . إليك التفويض يا أنجلو (يقدم له التفويض) ولتكن كشخصى تماماً فى غيابى ، فإن القصاص والرحمة سيكونان موكلين بلسانك وقلبك . أما إسكالس الشيخ فسيأتمر بأمرك وإن كان له السبق عليك ، خذ تفويضك .

أنجلو : مولاى الكريم ! إنى أسألك أن تختبر معدنى أكثر مما اختبرت ، قبل أن تكلفنى بهذه المهمة الجليلة ، وتسبغ على مثل هذا الشرف العظيم .

الدوق : كفى مراوغة ، لقد اخترناك بعد أن أمعنا النظر وأطلنا التفكير ، هاك إذن أمرنا بتفويضك . إننا نتعجل الرحيل من فينا لحاجة ملحة تتقدم على كل ما عداها من أمور . حتى ليتعذر علينا أن ننظر فيما جل من شئون ، ولسوف نكتب إليك بأخبارنا بقدر ما يتسع لنا الوقت وتسمح الظروف ، وإنا لنترقب ما يقع لكم هنا . نستودعك الله ، ونتركك متمنين أن تقوم على تنفيذ ما وكل إليك .

أنجلو : ولكن اسمح لنا يا مولاى أن نصحبك بعض الطريق .

الدوق : إن تعجلنا الرحيل قد لا يسمح بذلك ، وإنى لأقسم لك بشرفى أن الأمر لا يستدعى أن تكلف نفسك فى ذلك أى عناء . إن سلطانك كسلطانى سواء بسواء فى القيام على

القوانين أو التخفيف من أحكامها كما ترضاه نفسك . ه
يدك فإنى راحل بمفردى لأننى مع حبى للناس لا أود
أعرض نفسى أمام أعينهم ، وأنا لا أطرب لتهليلهم المد
وهتافاتهم الصاخبة ، وإن كانت تقع من قلبى موقع الر
والقبول ، ولا أظن أنها تؤثر فى رجل رشيد سليم العقل
استودعك الله للمرة الثانية .

أنجلو : أسأل الله أن يكتب لك التوفيق فى أغراضك !

إسكالس : سر على بركة الله وأرجو لك عوداً حميداً !

الدوق : شكراً لك ووداعاً .

(يخرج)

إسكالس : **(لأنجلو)** أرجوك يا سيدى أن تأذن لى بالتحدث معك فى حـ
وصراحة وإنه ليعنينى أن أمعن النظر فى موقفى ، ذلك أننى
خولت سلطاناً لم ترشدنى بعد إلى طبيعته ومداه .

أنجلو : وأنا فى ذلك مثلك ، ألا فلنجتمع فى خلوة ونحن حريّان
نصل قريباً إلى ما يرضينا فى هذا الشأن .

إسكالس : إنى فى خدمة عظمتكم .

(يخرجان معاً ، يتبعهما المستشارون)

المشهد الثانى

شارع فى ڤينا

(لوشيو وسيدان)

لوشيو : إذاً لم يصل الدوق وغيره من الأدواق إلى اتفاق مع ملك هنغاريا ، فلا عجب أن ينقضّ الأدواق جميعاً على الملك .

السيد الأول : ألا فلتفىء علينا السماوات سلامها ، ولا نريد سلاماً يأتينا من ملك هنغاريا !

السيد الثانى : آمين .

لوشيو : إنك تبت فى الأمر كالقرصان المنافق الذى خرج إلى البحر مزوداً بالوصايا العشر ، ولكن محا من السجل إحداها .

السيد الثانى : محا الوصية القائلة : «لا تسرق» !

لوشيو : أى نعم ، لقد محا هذه الوصية .

السيد الأول : أجل ، فقد كانت وصية تحرم على الربان وسائر رجاله أن يفعلوا ما هو من صميم عملهم ، فإنهم ما خرجوا إلا ليسرقوا . وليس منا جميعاً جندى واحد إذا ابتهل شاكراً الله على نعمائه قبل تناول الطعام يستسيغ الصلاة من أجل السلام .

السيد الثانى : لم أسمع قط أن ثمة جنديًّا واحداً يكره الابتهال من أجل السلام .

لوشيو : إنى لك من المصدقين ، فإنك فيما أعتقد لا تكون حيث يكون الابتهال !

السيد الثانى : حقًّا ؟ بل حضرت ذلك اثنتى عشرة مرة على الأقل .

السيد الأول : أبالوزن الشعرى[١] تقصد ؟

لوشيو : بأى وزن شئت أو بأى لغة أردت .

السيد الأول : أظنك تعنى : أو بأى دين أردت .

لوشيو : ولم لا ؟ فالابتهال هو الابتهال بصرف النظر عن كل خلاف ، وأنت مثلاً وغد خبيث بالرغم من كل ابتهال .

السيد الأول : فليكن ، فأنا وأنت من طينة واحدة .

لوشيو : صدقت ، فالصلة بيننا كصلة المخمل بهدبه ، وأنت الهدب .

السيد الأول : وأنت المخمل ، مخمل من نوع جيد ، بل إنى لأقول غير حانث إنك قطعة من المخمل الثمين الأجرد[٢] وخير لى أن أكون هدباً لنسيج إنجليزى من الصوف الخشن من أن أكون مخملاً فرنسيًّا[٣] نحل وبره كما نحل وبرك . ترى هل أتكلم الآن

---

(١) اختلف النقاد فى تفسير عبارة in metre فمن قائل إن شكسبير يقصد بها الترانيم القديمة ذات الأوزان الشعرية التى كان القوم يترنمون بها ، ومن قائل إنه يعنى : «فى الرواية تمثل على المسرح» .

(٢) وفى هذا تلميح إلى مرض الزهرى الذى أصاب لوشيو فنحل شعر رأسه .

(٣) كناية عن مرض الزهرى الذى كان يسمى بالصلع الفرنسى .

عن شعور ووجدان ؟

لوشيو : أظن ذلك . والحق إن حديثك قد حزّ فى نفسى كثيراً ، ولسوف أهتدى باعترافك فأشرع فى العناية بصحتك وأكف ما دمت حيًّا عن الشرب من الكأس بعلتك .

السيد الأول : أظن أننى قد أسأت إلى نفسى ، أليس كذلك ؟

السيد الثانى : أجل ، لقد فعلت ، سواء كان المرض لوثك أو كنت منه براء

(تشاهد السيدة أوفردن مقبلة)

لوشيو : انظرا انظرا ها هى ذى سيدة «التقرع» مقبلة !

السيد الأول : لقد أصبت فى رحاب بيتها عدد من الأمراض يقدّر بـ . . .

السيد الثانى : بكم وحياتك ؟

لوشيو : قدّر أنت ،

السيد الثانى : ثلاثة آلاف من الأسقام الإنجليزية فى العام .

السيد الأول : بل أكثر.

لوشيو : وفوقها صلع .

السيد الأول : إنك ترمينى دائماً بالأمراض ، ولكنك مخطئ فى ذلك غاية الخطأ فأنا سليم .

لوشيو : أجل إنك لست كما يقول الناس صحيحاً معافى ، ولكنك سليم سلامة الأشياء الجوفاء ، ذلك أن عظامك خاوية تخرفيها الضلال وترعرع .

(تدخل السيدة أوفردن)

السيد الأول : (مخاطباً إياها) هيا خبريني ! أى ردفيك قد تغلغل فيه عرق النساء .

السيدة أوفردن : مرحى ، مرحى ، لقد قبضوا هنالك على شخص وحملوه إلى السجن وهو يعدل خمسة آلاف رجل منكم جميعاً .

السيد الثانى : أرجوك أن تخبريني من يكون ذلك الرجل ؟

السيدة أوفردن : سيدى ، إنه وايم الله كلوديو ، السيد كلوديو .

السيد الأول : كلوديو يُلقى به فى السجن ! تالله هذا لا يكون .

السيدة أوفردن : أجل ، إنى لأعلم أن هذا قد حصل ، فقد رأيتهم يقبضون عليه ويحملونه إلى السجن .

بل إن الأمر أسوأ من هذا ، فإن رأسه سيطاح به فى خلال ثلاثة أيام .

لوشيو : ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحدث بعد كل ما دار بيننا من عبث ومجون ، هل أنت واثقة مما تقولين ؟

السيدة أوفردن : واثقة كل الوثوق ، وسبب ذلك أنه قد علقت منه السيدة جولييت .

لوشيو : تالله إن هذا خليق بأن يحدث ، فقد وعد أن يلقانى لساعتين خلتا وقد عهدته أميناً على مواعيده لا يخلفها قط .

السيد الثانى : وأنت تعلم فوق ذلك ، أن هذا قريب مما كان حديثنا يدور حوله فى هذا الشأن .

السيد الأول : إنه يتفق على الأخص والبلاغ الذى أذيع على الناس .

لوشيو : هيا بنا نستجلى حقيقة الأمر.

(يخرج لوشيو والسيدان مسرعين)

السيدة أوفردن : لقد تحالفت علىّ إذن الحرب والطاعون والمشنقة والفقر، فكسدت بضاعتى.

(پومپى يقترب)

إيه يا پومپى ! ما وراءك ؟

پومپى : لقد حُمل ذلكم الرجل إلى السجن.

السيدة أوفردن : عجباً وأى جرم ارتكب ؟

پومپى : امرأة

السيدة أوفردن : ولكن ما جريرته ؟

پومپى : التمس صيد «اللوت» فى غير ما يملك.

السيدة أوفردن : ماذا تقول، أثمة عذراء حملت منه بطفل ؟

پومپى : لا بل امرأة حملت منه بفتاة، لعلك لم تسمعى بأمر البلاغ ؟

السيدة أوفردن : أى بلاغ يا رجل ؟

پومپى : بلاغ بهدم كل البيوت التى فى ضواحى[٤] قينا.

السيدة أوفردن : وما مصير البيوت التى فى المدينة ؟

پومپى : ستبقىْ لتكون نواة لغيرها، ولولا شفاعة كبير عاقل من أهل المدينة لهدمت أيضاً.

---

(٤) كان معظم البيوت المشبوهة يقوم فى الضواحى.

السيدة أوفردن : ولكن ، هل ستهدم جميع بيوتنا التى أقناها للمتعة فى الضواحى ؟

پومپى : حتى تسوى بالأرض يا سيدتى .

السيدة أوفردن : عجباً ! هناك تغيير ألم حقًّا بحكومتنا ! ترى ماذا يكون مصيرى ؟

پومپى : هلمى ولا تخشى شيئاً ، فإن المحامين البارعين لا تعوزهم الزبائن وما تغيير مكانك بمستتبع أنْ تُغيّرى حرفتك . أما أنا فسأظل ساقيك تشجعى . فإنهم سيرْثون لحالك ، ويشملونك بالرعاية يا من كدت أن تفقدى بصرك فى مزاولة مهنتك . إنك ستكونين موضع التقدير .

السيدة أوفردن : فيم بقاؤنا هنا أيها الساقى(٥) ؟ فلننصرف .

پومپى : ها هو ذا السيد كلوديو قد أقبل يسوقه المحافظ إلى السجن . وها هى ذى السيدة جولييت .

(يخرجان)

(يدخل المحافظ والضباط وكلوديو وجولييت فى حراستهم ، ويتبع ركبهم لوشيو والسيدان) .

كلوديو : قل لى يا صاح لماذا تشهّر بى على هذا النحو أمام الناس ؟ اذهب بى إلى السجن الذى حكم به على .

---

(٥) سماه شكسبير فى الأصل باسم توماس ، على أن هذا الاسم كان علماً على السقاة .

الحافظ : إنى لا أفعل هذا عن نية سيئة ، بل أفعله بناء على أمر خاص من اللورد أنجلو.

كلوديو : وهكذا يستطيع هذا المتأله صاحب السلطان المطلق أن يحملنا على التكفير عن ذنوبنا تكفيراً ، وذلك حكم السماء بعضهم يجد فيه خلاصة وبعضهم يجد فيه هلاكه ، ومع ذلك فهو حكم عادل .

(ضابط يسير مع جولييت) .

لوشيو : (يتقدم) عجباً ، كلوديو ! ما سبب الحجر على حريتك ؟

كلوديو : السبب هو الإسراف فى الحرية يالوشيو ، الحرية وكما أن البِطْنة هى الأصل فى الصيام الطويل فكذلك ينقلب الإفراط فى أى مباح إلى الحجر والتضييق . إن غرائزنا تتهالك على إثم لا يرتوى ولا تنقع له غلة . فإذا نهلنا منه أدركتنا المنية كأننا الجرذان تلتهم ما يرصد لها من سم زعاف.

لوشيو : لو أننى أستطيع أن أنطق بكل هذه الحكمة وأنا مقبوض على لبعثت فى طلب بعض دائنى ، ولكننى وأيم الحق أفضل حماقات الحر الطليق على عظات المقيد السجين. خبرنى ياكلوديو ما جريرتك ؟

كلوديو : إن مجرد النطق بها يوقعنى فى جريمة أخرى .

لوشيو : أفصح ، أهى القتل ؟

كلوديو : كلا

لوشيو : أهى الفسق ؟

كلوديو : فلتسمها بهذا الاسم .

المحافظ : هلم يا سيدى ؟ فإن الواجب يقتضينا أن ننصرف .

كلوديو : كلمة واحدة يا صديق العزيز – لوشيو ، لى معك كلمة واحدة .

لوشيو : مائة كلمة ، إذا كان فيها أى نفع يصيبك .

(يتنحيان ناحية ويتحدثان)

أو يهتمون بالفسق كل هذا الاهتمام ؟

كلوديو : هذه هى الحال معى : لقد شاركت جولييت فراشها بصحيح العقد ، وأنت تعرفها ، فهى زوجتى بموجب الخطبة ، إلا أننا لم نعلن الزواج على رءوس الأشهاد . . وكتمنا الأمر لا لشىء إلا لأن أصدقاءها أمسكوا عن دفع بائنتها واحتفظوا بها فى خزانتهم ، فرأينا أن من الصواب أن نخفى حبنا والزمن كفيل بأن يستميل قلوبهم إلينا ، ونعمنا خلسة بأعظم متعة لنا ، ولكن المقادير شاءت أن تظهر آثارها على جولييت واضحة جلية .

لوشيو : لعلها حملت ؟

كلوديو : نعم للأسف ، وإنى لنى حيرة من أمرى ، ترى أيكون النائب الجديد الذى حل الآن محل الدوق قد غرّه بريق المنصب الجديد ، أو بدا له أن الجمهور جواد يمتطيه الحاكم ، فما إن

يركبه ، وهو الحديث العهد بامتطاء صهوته ، حتى يبادر إلى نخسه بالمهماز ليشعره بأنه قادر على قيادته ، أو أن الطغيان متأصل فى المنصب ، أوهو صفة من صفات صاحب السلطان الذى يشغله . على أن الحاكم الجديد يبعث فى حالتى جميع العقوبات القانونية التى ظلت كالدروع العتيقة الصدئة معلقة على الحائط مدة طويلة حتى مر بها تسعة عشر حولاً لا يلبس أحد منها شيئاً ، وهو الآن ينفض الغبار عن هذا القانون الخامل المهمل سعياً وراء الشهرة ، ويطبّقه على ، تالله إنه يفعل ذلك فى سبيل الشهرة .

لوشيو : إنى لأومن بأن القول ما قلت ، وأن رأسك الآن ليتأرجح بين كتفيك ، ولو أن قروية ممن يحلبن اللبن تنهدت من قلب غزاه الحب لأطاحت به . أدرك الدوق ، وارفع أمرك إليه .

كلوديو : لقد فعلت ولكنى لم أعثر له على أثر . وإنى لأتوسل إليك يالوشيو أن تؤدى لى هذه المكرمة ، فاليوم هو الموعد المحدد لدخول أختى فى الدير لتنذر نفسها للرهبنة . أكشف لها عن الخطر المحيط بى . وتضرّع إليها بلسانى ، أن تسعى إلى صداقة ذلكم النائب الصارم ، وإنى لأعلق أملاً عظيماً على فعلها هذا ، فإن شبابها ساحر يؤثر فى الرجال من غير كلام ولا مقال ، ثم إن لها باعاً طويلاً فى الإقناع عندما تعمد إلى التلاعب بالحجج والألفاظ .

لوشيو : أرجو أن تنجح فى إقناعه ، أرجو ذلك رحمة بأمثالك أن يحل بهم ظلم جائر ، وأرجوه أيضاً حرصاً على حياتك ، فإنه ليسوءنى أن تذهب على هذا النحو هباءً فى لعبة تافهة . سأمضى إليها .

كلوديو : شكراً لك يا صديقى العزيز لوشيو .

لوشيو : سأذهب إليها فى خلال ساعتين .

كلوديو : هيا بنا أيها الضابط .

(ينصرفون)

المشهد الثالث

صومعة راهب

(الدوق والراهب توماس)

ق : كلا ، أيها الأب الطاهر ، انزع هذه الفكرة من مخيلتك ولا تظنن أن سهام الحب الواهنة بقادرة على أن تنفذ إلى قلب مصون ، وإنى إذا كنت قد لجأت إليك ألتمس الرأى بعيداً عن أعين الناس ، فإنما فعلت ذلك لأمر أخطر وأعقد مما يسعى إليه الشباب الملتهب .

ب توماس : هل لك أن تفصح يا صاحب العظمة ؟

ق : يا سيدى الأب الطاهر ، إنك لأعلم الناس بمقدار حبى لحياة الاعتزال وعزوفى عن غشيان المحافل يؤمها الشباب ويتجلى فيها البذخ والتظاهر الأجوف . وقد أنبت عنى اللورد أنجلو وهو رجل صارم شديد الزهد وسلمته مقاليد سلطانى المطلق وأقمته هنا فى مكانى بفينا ، وإنه ليحسب أننى رحلت إلى بولندة ! فقد أشعت هذا الخبر بين الناس فصدّقوه . أما وقد فعلت هذا فستسألنى أيها الأب الصالح عما حملنى على ذلك .

ب توماس : يسرنى هذا يا مولاى

ق : ألا فلتعلم أن لدينا شرائع صارمة وقوانين غاية فى الشدة ،

وتلك ردائع وشكائم لا غنى عنها لكبح جماح السادرين فى غيهم إلا أننا طوينا صفحتها هذه السنوات الأربع عشرة فكانت كالأسد أعجزته الشيخوخة فقبع فى عرينه لا يخرج طلباً للفريسة ، أوكالآباء الحمق يجمعون عساليج المقرعة المخيفة بعضها إلى بعض ويلوّحون بها أمام أعين أطفالهم ليرهبوهم بها فحسب ولكنهم لا يستخدمونها ، فغدت المقرعة على مر الأيام مثاراً للسخرية أكثرمنها أداة للإرهاب . وهكذا أصبح شأن قوانيننا ، فقد ذهبت شوكتها وأصبحت فى ذاتها ميتة لا حياة فيها . وتهجمت الحرية على العدالة ، وراح الطفل يضرب مربيته وأمعن الناس فى الخروج على مقتضيات الحشمة والوقار جميعاً .

الراهب : لقد كان فى طوقكم يا صاحب العظمة أن تطلقوا العدالة من عقالها متى تشاءون ولئن فعلتم لبدت شوكتها فى يدكم أكثر إرهاباً للنفوس منها فى يد اللورد أنجلو .

الدوق : إنى لأخشى أن يتجاوز الخوف من بطشها الحدّ ، ذلك أننى أخطأت إذ أطلقت الحرية للناس ، ولو أننى آذيتهم وعاقبتهم على ما أمرتهم أن يفعلوه لكان ذلك طغياناً منى . نعم إنى أمرتهم أن يفعلوه حين تركت باباً للشرور ولم أوصده بالعقوبة ، وهذا حقًّا هو الذى حملنى يا أبتاه على أن أنيب عنى أنجلو لعله يأخذ الناس بالشدة محتمياً باسمى ، ولا أظهر أنا

فى الميدان بما يجافى طبعى ، فأتلقى ملامة الناس . ولقد عولت على أن أتفقد شئونه وشئون الرعية جميعاً ، متنكراً فى مسوح راهب من طائفتك لألمس طريقته فى الحكم ، فأزور الأمير وابن الشعب ، ولهذا أرجوك أن تزودنى بهذه المسوح وأن تعلمنى كيف أبدو أمام الناس بشخصى فى هيئة الراهب الحق . وسأكشف لك عندما يتسع لنا الوقت أسباباً أخرى دفعتنى إلى فعل ما فعلت ، وحسبى أن أذكر لك هذا السبب دون سواه ، وهو أن اللورد أنجلو رجل صارم يغار على سمعته أشد الغيرة ، ولا يكاد يعترف بأنه إنسان يجرى دمه فى عروقه ، أو أن شهوته إلى الطعام تؤثر الخبز على الحجر . ولسوف نرى إذن هل غيّر السلطان من طبيعته التى يظهر بها أمام الناس ؟ .

المشهد الرابع

الفناء الخارجى فى دير الراهبات

(إيزابلا والراهبة فرانشسكا)

إيزابلا : هل لكُنّ أيتها الراهبات امتيازات أخرى ؟
أوليس فى هذه الكفاية ؟

إيزابلا : أجل فيها الكفاية حقًّا ، ولم أقصد بقولى إننى أرغب فى المزيد
وإنما وددت أن تفرض على راهبات طائفتكن من مريدات
القديس كلير قيود أشد صرامة .

(قرع على الباب)

لوشيو : (ينادى من الخارج) يا أهل الدير ! ألا فليحل السلام فى هذا
المكان !

إيزابلا : من ذا الذى ينادى ؟

الراهبة : إنه صوت رجل ، افتحى الباب أيتها الأخت الكريمة إيزابلا
واعرفى منه ما شأنه فإن هذا مباح لك ، وليس مباحاً لى ،
لأنك لم تنذرى نفسك للرهبنة بعد ، فإذا ما فعلت حرم
عليك مخاطبة الرجال إلا بحضور رئيسة الدير ، ثم إنك إذا
خاطبتهم فلا يباح لك أن تكشفى لهم عن وجهك ، وإذا
كشفت عن وجهك وجب أن تمسكى عن الكلام . لقد عاود

النداء ، فأرجوك أن تجيبيه .

(تخرج)

إيزابلا : (تفتح الباب الخلفى) سلاماً وخيراً ! من المنادى ؟

(يدخل لوشيو)

لوشيو : السلام عليك أيتها العذراء إن كنت ، وما أخال هذا الورد الذى يعلو خديك إلا شهيداً على ما أقول ! هل لك أن تعينينى على أن أذهب إلى حيث أرى إيزابلا ، تلك الراهبة المبتدئة فى هذا الدير والأخت المليحة لأخيها التعس كلوديو .

إيزابلا : لماذا تقول « أخيها التعس » ؟ اسمح لى أن أسألك ؟ ذلك أننى لا أجد الآن مناصًّا من الاعتراف لك بأننى إيزابلا التى تعنى وأخت كلوديو

لوشيو : أيتها الآنسة الكريمة الجميلة (ينحنى) إن أخاك ليبعث إليك بأطيب تحياته ، وإنى لأخشى أن أطيل عليك ، وحسبى أن أقول إنه قد زج به فى السجن .

إيزابلا : ويلاه ! وما ذنبه ؟

لوشيو : ذنب من لو كنت قاضيه لجازيته عليه بالشكران والحمد ، فقد حملت صديقته منه .

إيزابلا : سيدى . . . لا تجعلنى موضوعاً لمزاحك ودعابتك .

لوشيو : إن ما أقول هو الحق . وإنى ، وإن كان الذنب الذى عرف عنى مع العذارى هو أننى أخادعهن ، كما يفعل الطير

الصخّاب وأمازحهن بأقوال بعيدة عما يكنّه قلبى ، لا أفعل ذلك مع العذارى جميعاً ، لأننى أنظر إليك نظرتى إلى كائن سماوى مقدس استحال بإنكاره الدنيا روحاً خالدة ، ينبغى أن أتحدث إليها بإخلاص وصدق كأننى أحدث قديساً .

إيزابلا : إنك فى سخريتك بى لتجدف فى حق الأبرار الصالحين .

لوشيو : لا تصدق ذلك ، وإليك القصة باختصار وأمانة : لقد تعانق أخوك وحبيبته ، وكما أن الذين يأكلون تمتلئ بطونهم شأنهم شأن الأرض البور المراحة يلقى فيها بالبذور حتى إذا حل موسم الإزهار جادت بالثمر ، فكذلك رحمها الخصيب قد أفصح عن طيب حرثه وجودة فلاحته .

إيزابلا : أوقد حملت إحداهن منه ؟ وهل هى ابنة عمى جولييت ؟

لوشيو : أهى ابنة عمى ؟

إيزابلا : بالتبنى ! فإن الرفيقات فى المدرسة يتسمين بأسماء صويحباتهن اختيالاً منهن بالمحبة وإن كن صادقات فى محبتهن

لوشيو : إنها هى .

إيزابلا : فليتزوجها إذن !

لوشيو : هذه هى المشكلة ، فإن الدوق قد غادر المدينة فى ظروف غريبة جداً ، وجعل سادة كثيرين ، وأنا منهم ، يتعلقون بالآمال الكذاب ويترقبون وقوع الواقعة ، ولكننا علمنا من أولئك المطلعين على بواطن الأمور فى الدولة ، أن ما أظهره

لأبعد ما يكون عن حقيقة ما أضمر ودبّر ، وقد تولى الحكم بالنيابة عنه اللورد أنجلو ، متخذاً جميع سلطاته ، وهو رجل يجرى فى عروقه الدم بارداً كالثلج ، ولا يشعر قط بسلطان الشهوة أو بمطالب الغريزة ! بل يطفئ سورة طبيعته ويفل من حدتها بثمار العقل والركون إلى الدرس والصوم . وقد شاء أن يخيف أولئك الذين جروا على سنة التحرر والانطلاق . ومضوا فيها زمناً طويلاً متغاضين عن القانون الرهيب تغاضى الفيران عن الأسود . فبعث شريعة عرّضت حياة أخيك للموت تحت وطأة أحكامها الصارمة ، وقبض عليه تنفيذاً لذلك ، وهو يطبق نصوصها تطبيقاً دقيقاً ليجعل منه عبرة لمن يعتبر . . وليس ثمة أمل يرجى إلا إذا تفضلت بحسن شفاعتك فرققت قلب أنجلو عليه ، وهذا هو سر وساطتى بينك وبين أخيك المسكين .

إيزابلا : أوبلغت رغبته فى القضاء على أخى هذا الحد ؟

لوشيو : لقد قضى فيه قضاءه فعلاً ، بل إن المحافظ تلقى ، كما سمعت ، الأمر بإعدامه .

إيزابلا : ويلاه ! وما حيلتى أنا الضعيفة فى إصلاح حاله ؟

لوشيو : جربى ما لديك من سلطان .

إيزابلا : ما لدى من سلطان ! وا أسفاه ! إنى لأشك . .

لوشيو : إن شكوكنا عدو لنا غادر يضيع علينا الخير وما أكثر ما يتاح لنا

أن نناله لولا أننا نجبن عن السعى فى سبيله . فلتذهبى إلى اللورد أنجلو ، وعلّميه أن العذارى إذا سألن شيئاً أعطاهن الرجال بسخاء كسخاء الآلهة ، ولكنهن إذا بكين وركعن أصبح كل ما يلتمسن رهن بمشيئتهن ، كأنما هو ملك خالص لهن .

إيزابلا : سأتدبر ما فى وسعى أن أفعله .

لوشيو : ولكن عجلى

إيزابلا : سأمضى من فورى ولن أبقى إلا ريثما أخطر الرئيسة بمهمتى وإنى لأشكرك شكر العاجز عن أداء حقك . بلّغ سلامى إلى أخى ، وسأبادر فى هذه الليلة فأبعث إليه كلمة عما صادفنى من توفيق .

لوشيو : إنى أستأذنك فى الانصراف

(ينحنى)

إيزابلا : (وهى تفتح له الباب) أستودعك الله أيها السيد الكريم

(يخرج ، وتغلق هى الباب وتعود أدراجها إلى الدير)

الفصل الثانى

المشهد الأول

محكمة

(أنجلو وإسكالس وقاض جالسين ، المحافظ وضباط وغيرهم من الحجاب والقدين)

أنجلو : يجب ألا نتخذ من القانون زوالاً نقيمه لتخويف جوارح الطير فنبقى على صورته بلا تغيير ولا تبديل حتى يستحيل بحكم العادة مجثماً لها لا أداة لتخويفها .

إسكالس : أى نعم ، ولكن يجب علينا أن نلزم جانب الحرص فإذا طَعَنَّا طَعَنَّا برفق . فلا نوغل حتى نصيب مقتلاً . وا حسرتاه ! إن هذا الشاب الذى تهفو نفسى إلى إنقاذ حياته كان له أب من أنبل الآباء ! وإنى لأرجو أن تتدبروا يا صاحب الفخامة وأنتم كما أعتقد من أشد الناس استمساكاً بالفضيلة ، إنكم ، فى سبيل تنفيذ أغراضكم كنتم توفقون بين الزمان والمكان ، أو بين المكان والرغبة ، أو أن سورة شبابكم فى مضائها كانت تبلغكم مأربكم ، فهلا تكونون قد ارتكبتم فيما مر بكم من حياتكم ذلك الإثم الذى تأخذونه به اليوم ، فاستعديتم القانون عليكم ؟

أنجلو : يا إسكالس ، التعرض للإغراء شيء والسقوط فيه شيء آخر . إنى لا أنكر أنه قد يكون بين المحلفين الاثنى عشر الذين أدوا اليمين وأصدروا حكمهم على السجين بالموت ، لص أو لصان أشد إثماً من ذلك الذى حاكموه . إن الذى يقع فى يد العدالة هو الذى تقتص منه العدالة ، ومن يدرى لعل الذين ينفذون القانون إنما هم لصوص يحكمون على لصوص وغير خاف أن الجوهرة التى نصادفها تتجلى أمام أعيننا وتتألق فننحنى لنلتقطها لأننا نراها ، أما ما لا نراه فنطؤه بأقدامنا ولا نفكر فيه قط فلا تهونن من ذنبه لأننى ارتكبت مثلما ارتكب ، وإنما يجمل بك أن تقول لى أنا الذى أحاكمه بأننى لو اقترفت إثماً كالذى اقترفه لحقّ على أن أحكم على نفسى بالموت فى غير ما تحيز أو محاباة . . يجب أن يموت يا سيدى .

إسكالس : فليكن ما تقضى فيه بحكمتك

أنجلو : أين المحافظ ؟

المحافظ : عفوك يا صاحب الفخامة ، ها أنذا .

أنجلو : ألا فلينفّذ حكم الإعدام فى كلوديو قبل أن تحل الساعة التاسعة من صباح الغد ، ولتأت له بقس يعترف له ، ودعه يستعد فقد بلغ خاتمة المطاف .

(يخرج المحافظ)

إسكالس : حكمتك يا رب ! اللهم أغفر له وأغفر لنا أجمعين ، فمن

الناس من ترفعه الخطيئة ومنهم من تهوى به الفضيلة ، ومنهم من يفلت من غوائل الآثام ولا يحاسب عليها ، ومنهم من يؤخذ بصغيرة واحدة .

(يدخل إلبو هو وضباط ومعهم فروث ويومبى مقبوضاً عليهما)

إلبو : هيا ائتوا بهما ، فوالله إنى لأكونن جاهلاً بالقانون إذا كان هذان الرجلان من خيار الناس فى أمة من الأمم وهما لا يفعلان شيئاً إلا ارتياد المواخير. ائتوا بهما .

أنجلو : ما شأنك أيها السيد ؟ وما اسمك ؟ وما خطبك ؟

إلبو : عفوك يا صاحب الفخامة فإنى الحارس المسكين للدوق واسمى إلبو ، وسندى هو القانون يا سيدى ، وقد أتيت إلى ساحة فخامتكم بجوادين ذائعى الصيت .

أنجلو : جوادين ؟ جميل ، وأى جوادين هما ؟ ألا يكونان شريرين ؟

إلبو : عفوك يا صاحب الفخامة فإنى لا أعلم علم اليقين حقيقة أمرهما ، ولكننى واثق أنهما وغدان أصيلان ، وأنهما آبقان من كل صنعة[١] ينبغى أن يمارسها أى مسيحى صالح .

إسكالس : أحسنت القول ! هاكم ضابطاً حكيماً .

أنجلو : استمر : ما صنعتهما ؟ أو اسمك إلبو؟ لم لا تتكلم يا إلبو؟

يومبى : إنه لا يستطيع يا مولاى ، لقد تقطعت به الأسباب

---

(١) الذى ورد فى الأصل هو profamation ويذهب كثير من النقاد إلى أن شكسبير قد زل قلمه فى هذا الموضوع واستعمل هذه الكلمة بدلاً من profession .

أنجلو : ما هي صناعتك أيها السيد ؟

إلبو : هو يا مولاى ! إنه ساق يا مولاى – وبعضه قواد ، رجل يخدم امرأة ساقطة يقال إن منزلها فى الضواحى قد هدم ، وهى تملك الآن حماماً أظن أنه هو أيضاً محل قبيح السمعة جداً .

إسكالس : وكيف عرفت ذلك ؟

إلبو : إن زوجتى يا سيدى التى أقر بمقتى إياها أمام الله وأمام فخامتكم

إسكالس : عجباً ، زوجتك ؟

إلبو : أجل يا سيدى ، وإنى لأشكر الله على أنها امرأة شريفة . .

إسكالس : أو تمقتها من أجل ذلك ؟

إلبو : أقول يا سيدى إننى بلا شك سأمقت نفسى وأمقتها إذا لم يكن هذا المنزل يدار للقوادة ، فإن لم يكن هذا هو شأنه فإن فى ذلك رحمة بها ، ولكنه منزل آثم .

إسكالس : كيف عرفت ذلك أيها الحارس ؟

إلبو : تالله يا سيدى لقد عرفت من زوجتى ، ولو كانت امرأة باعت نفسها للشهوات لاتهمت بالفجور والزنى وجميع الخبائث .

إسكالس : بسبب تلك المرأة ؟

إلبو : أجل يا سيدى بسبب السيدة أوفردن ، ولكنها بصقت على وجهه فتحدته بذلك .

عفوك يا سيدى ، فإن الأمر ليس كما يزعم .

أثبت ذلك أمام هذين الأفاقين أيها الرجل الشريف ، أثبته .

(مخاطباً أنجلو) أسمعت كيف يخلط فى القول ؟

مولاى لقد جاءت وهى حبلى ، وكانت شرف الله قدرك ، تهفو نفسها إلى القراصية المطبوخة ، ولم يكن لدينا فى المنزل إلا اثنتان منها ، كانتا فى ذلك الزمن البعيد تستقران فى طبق للفاكهة ، طبق يساوى ثلاثة بنسات أو نحوها . وقد رأيتم يا صاحبى الفخامة أطباقاً من هذا القبيل ، فهى لم تكن أطباقاً من الصينى ، ولكنها كانت أطباقاً من نوع جيد جدًّا .

استمر ، استمر ، ودعك من الطبق أيها السيد .

أجل ياسيدى ، فإن هذا الطبق لم يكن وأيم الحق يساوى شيئاً ، لقد أصبت فى هذا ، ولكن لنتكلم فى الموضوع . قلت ن السيدة إلبو كانت حبلى وكانت ، كما قلت ، منتفخة لبطن ، كما كانت ، كما قلت ، تهفو نفسها إلى القراصية ، لم يكن عندى فى الطبق إلا اثنان منها . ذلك أن السيد روث الماثل أمامكم ، وهو ذا الرجل بعينه ، كان ، كما لت ، قد أتى على بقيتها وأدى ، كما قلت وكما سأقول ، ثمن ا أكل بكل أمانة ، وإنك لتعلم يا سيد فروث أننى لم أكن ستطيع أن اردّ لك الثلاثة البنسات .

لا طبعاً .

پومپی : جميل جدًّا ، وإنك كنت إذا أسعفتك ذاكرتك ، تكسر نوى تلك الفراصية

فروث : أجل ، هذا ما كنت أفعله حقًّا

پومپی : جميل جدًّا ، وكنت أقول لك وقتئذ ، إذا كنت تذكر ، أن لا شفاء يرجى لهذا أو لذاك من الشيء الذى تعلم ، مالم يأخذا نفسيهما بالحمية أخذاً كما قلت لك .

فروث : كل هذا صحيح .

پومپی : جميل جدًّا ، وإذن . .

إسكالس : هات ما عندك ، فإنك ثرثار أحمق . تكلم فى لب الموضوع . ما الذى وقع لزوجة إلبو مما أثار شكواه ؟ حدثنى بما وقع لها .

پومپی : سيدى ، لا أستطيع بعد أن أحدث فخامتكم بما وقع لها .

إسكالس : إنك لا تستطيعه يا سيدى ، ولست أنا أريده .

پومپی : ولكنى يا سيدى إذا سمحتم سأصل بكم إلى ما تريدون ، وإنى لألتمس منكم أن تتفرسوا فى السيد فروث الماثل أمامكم . إنه يا سيدى رجل يبلغ دخله ثمانين جنيهاً سنويًّا ، وقد مات أبوه فى عيد جميع القديسين . أو لم يمت فى عيد جميع القديسين يا سيد فروث ؟

فروث : فى ليلة عيد جميع القديسين !

پومپی : هذا جميل ، جميل جدًّا . وإنى لأرجو أن تكون هذه حقائق ، لقد كان يا سيدى يجلس ، كما أقول ، على كرسى

مريح ، وكان ذلك يا سيدى فى حانة عنقود العنب ، حيث كانت تطيب لك الجلسة حقًّا . أليس كذلك ؟

: لقد كان هذا شأنى ، فإن الغرفة مفتوحة ويطيب الجلوس فيها شتاءً .

: جميل جدًّا إذن ، وإنى لأرجو أن تكون هذه حقائق .

: إن هذه الدعوى لتستغرق ليلة من ليالى روسيا ، والليالى هناك هى أطول الليالى ، وإنى لأستأذنكم فى الانصراف وأترككم لسماع هذه الدعوى . راجياً أن تجدوا سبباً وجيهاً لجلدهم جميعاً .

: أظن أنهم لا يستحقون أقل من ذلك . أسعد الله صباحك يا صاحب الفخامة .

(يخرج أمجلو)

هلم يا سيدى استمر . ما الذى أصاب زوجة إلبو مرة أخرى .

: مرة يا سيدى ؟ لم يصبها شىء مرة .

: أبتهل إليك يا سيدى اسأله ماذا فعل هذا الرجل بزوجى ؟

: أبتهل إليك يا سيدى أن تسألنى .

: فليكن ما تريد يا سيدى . ماذا فعل بها هذا السيد ؟

: أبتهل إليك يا سيدى أن تتأمل فى وجه هذا السيد . . . أيها السيد الطيب فروث أنظر إلى فخامته ، فإن فى هذا ما يعود عليك بالخير أو تلاحظون فخامتكم وجهه ؟

إسكالس : نعم يا سيدى ، ألاحظه جيداً جدًّا .

پومپى : أجل ، أبتهل إليكم أن تلاحظوه جيداً .

إسكالس : إنى أفعل هذا .

پومپى : أو ترون فخامتكم أى أذى فى وجهه .

إسكالس : عجباً ، كلا .

پومپى : إنى لأقسم على الإنجيل بأن أسوأ ما فيه وجهه . . حسن إذن ، وإذا كان أسوأ ما فيه وجهه فكيف يستطيع السيد فروث أن يلحق أى ضرر بزوجة الحارس ؟ إنى لأود أن أعرف الجواب من فخامتكم .

إسكالس : إنه لعلى حق . ما قولك فى هذا أيها الحارس ؟

إلبو : أقول أولاً ، إذا أذنتم لى ، إن البيت بيت مشتبه فيه[٢] ، وثانياً إن هذا الشخص شخص مشتبه فيه ، وإن امرأته مشتبه فيها .

پومپى : أقسم بيدى هذه يا سيدى ، إن زوجته امرأة مشبوهة أكثر منا جميعاً .

إلبو : أيها الأفاق ، إنك تكذب . إنك تكذب أيها الأفاق الشرير فما حان الوقت بعد لأن يشتبه فى علاقة زوجتى برجل أو امرأة أو طفل .

---

(٢) فى الأصل respected أى محترم ولكنه يريد unrespected كما ترجمناها هنا .

پومپى : سيدى ، لقد اشتبه فى علاقتها به قبل أن يتزوجها .

إسكالس : أيهما أكثر حكمة فى هذا المقام ؟ الحارس أم المجنون ؟ أهذا صحيح ؟

إلبو : إيه أيها التعس ! إيه أيها الأفاق ! إيه أيها المتوحش الشرير ! أتقول إنى كنت على علاقة مريبة بها قبل أن أتزوجها ؟ لو أننى كنت قط على علاقة مريبة بها .

إسكالس : ولو أنه صفعك على وجهك لأقمت عليه دعوى القذف أيضاً .

إلبو : تالله إنى لأشكر فخامتكم على ذلك . بماذا تشيرون على فخامتكم أن أفعل بهذا التعس الشرير

إسكالس : الحق أيها الحارس أنه مادام متهما بتهمة ستكشف أمرها إذا استطعت فدعه يتابع أقواله حتى تتبين أمر هذه التهمة .

إلبو : تالله إنى لأشكر فخامتكم على ذلك . ألا فلتنظر أيها الأفاق الشرير ماذا حل بك الآن . إن عليك الآن أن تتابع أقوالك أيها الأفاق ، فلتتابع أقوالك .

إسكالس : (لفروث) أين كان مولدك يا صاح ؟

فروث : هنا فى ڤينا يا سيدى

إسكالس : أدخلك ثمانون جنيهاً فى السنة ؟

فروث : أجل يا سيدى بعد إذنكم .

إسكالس : كذا . . (إلى پومپى) وما صنعتك يا سيدى ؟

پومپی : نُدُل ، نُدُل أرملة مسكينة .

إسكالس : وما اسم سيدتك ؟

پومپی : السيدة أوفردن

إسكالس : أو كان لها أكثر من زوج ؟

پومپی : تسعة يا سيدى ، وقد استهلكها آخرهم .

إسكالس : تسعة ! ادن منى يا سيد فروث ، يا سيد فروث لا أحب لك أن تصادق الندل . فإنهم سيستدرجونك يا سيد فروث ، وستعمل أنت على شنقهم . اذهب ودعنى لا أسمع عنك شيئاً بعد .

فروث : إنى لأشكر فخامتكم . . أما عن نفسى فإنى لا أذهب قط إلى حمام بمحض رغبتى وإنما أستدرج إليه استدراجاً .

إسكالس : حسناً ، لا تعد إلى هذا الفعل مرة أخرى يا سيد فروث ، أستودعك الله .

(يخرج فروث)

ادن منى أيها السيد الندل . ما اسمك أيها السيد الندُل ؟

پومپی : پومپی .

إسكالس : ثم ماذا ؟

پومپی : الألىّ يا سيدى .

إسكالس : حقًّا إن إليتك هى أكبر ما فيك ، حتى ليمكن أن نسميك پمپى الأكبر مستعملين كلمة الأكبر بأحط معانيها . يا پومپى إن

بعضك قواد أيما كانت الصبغة التي تخلعها على صنعة النذُل التي تتخذها ، أليس كذلك ؟ هلم أصدقني فإن هذا خير لك .

پومپی : الحق يا سيدى أنني رجل مسكين يريد أن يعيش .

إسكالس : وكيف تريد أن تعيش يا پومپی ؟ بأن تكون قواداً ؟ ما رأيك فى هذه المهنة يا پومپی ؟ أهی مهنة مشروعة ؟

پومپی : إذا أجازها القانون يا سيدى .

إسكالس : ولكن القانون لن يجيزها يا پومپی ، ولن تباح فى ڤينا .

پومپی : هل تنوون فخامتكم أن تجبّوا مذاكير شباب المدينة كلهم وتقضوا على فحولتهم ؟

إسكالس : كلا يا پومپی .

پومپی : حقًا يا سيدى إنى لأرى بعقلى الضعيف أنهم سيسيرون إذن على سنتهم الأولى . وإذا كنتم فخامتكم ستتخذون إجراءً ضد العاهرات والفساق فليس ثمة ما يدعوكم إلى الخوف من القوّادين .

إسكالس : أؤكد لك أن قوانين صارمة قد بدأت تسن ، وهى لا تقضى إلا بقطع الرأس والشنق .

پومپی : إنك إذا قطعت رأس كل من يخالف القانون على هذه الصورة أو شنقته عشر سنوات سويًّا ، فإنه سيطيب لك عندئذ أن تصدر أمراً تطالب فيه برءوس جديدة ، وإذا

استمر هذا القانون نافذاً فى ڤينا عشر سنوات فإنى قمين بتأجير أجمل بيوت المدينة بثلاثة بنسات فى اليوم . وإذا مد الله فى عمرك حتى ترى ذلك يتحقق ، فقل إن يومبى قد تكهن لك بما تكهن .

إسكالس : شكراً لك يا پومپى الطيب . وإنى لأسألك أن تصغى إلى جزاءً لك على نبوءتك ! إنى أنصحك بألا تحضر مجلسى مرة أخرى فى أية شكوى مهما كان شأنها ، ولوكان سببها أنك تسكن فى المكان الذى فيه تقيم . فإن وجدتك يا پومپى ضربتك حتى أبلغ بك إلى عقر دارك ، وكنت لك كالطاغية الذى لا يرحم أو قل يا پومپى إن كنت تريدها كلمة واضحة صريحة ، إننى سأعمل على جلدك . وحسبى هذه المرة يا پومپى أن أستودعك الله .

پومپى : أشكر فخامتكم على نصيحتكم الغالية (بينه وبين نفسه) ولكننى سوف أعمل بها على قدر ما تحكم به شهوة الجسد وشهوة المال . يجلدنى ؟ كلا ، كلا ! فليجلد الحوذى حصانه البليد أما صاحب الحرفة الجرىء القلب فلا يصرفه الجلد عن حرفته .

(يخرج)

إسكالس : ادن منى يا سيد إلبو . اقترب أيها السيد الحارس ، كم قضيت فى وظيفة الحارس هذه ؟

إلبو : سبع سنوات ونصف سنة يا سيدى .

إسكالس : ظننت مما رأيت من قدرتك على القيام على هذه الوظيفة أنك قضيت فيها بعض الوقت ، تقول سبع سنوات سويًّا ؟

إلبو : ونصف سنة يا سيدى .

إسكالس : واهاً لك ، لا جَرَمَ أنك لقيت فى وظيفتك مشقة عظيمة ، إنهم يسيئونك إذ يبقونك فيها هذه المدة الطويلة . أوليس فى ناحيتكم رجال أَكْفَاء يمكن أن يُعهد إليهم بهذه المهام ؟

إلبو : الحق يا سيدى أنه ليس منهم من أوتى البصر بهذه الأمور إلا القليل . وما إن يقع عليهم الاختيار حتى يطيب لهم أن يختارونى نيابة عنهم ، فأنهض بمهامهم لقاء بعض المال وأخدم الجميع .

إسكالس : عليك أن تأتينى بأسماء ستة رجال أو سبعة ، وليكونوا أقدر من فى ناحيتكم .

إلبو : هل آت بهم إلى منزل فخامتكم يا سيدى ؟

إسكالس : إلى منزلى ، وأستودعك الله

(يخرج إلبو)

كم الساعة فيما تظن ؟

القاضى : الساعة الحادية عشرة يا سيدى .

إسكالس : هلا تناولت العشاء معى ؟

القاضى : أشكرك بكل تواضع .

إسكالس : إنه ليحزننى أن يموت كلوديو. ولكن لا حيلة فى ذلك.

القاضى : إن لورد أنجلو رجل صارم.

إسكالس : إن هذه الصرامة لا محيص عنها فالرحمة لا تكون رحمة إذا زادت وشاعت ولا يزال العفو يورث همًّا فوق هم، ولكن وا حسرتاه عليك يا كلوديو المسكين! إلا حيلة لنا فى ذلك هلم يا سيدى.

(ينصرفان يتبعهما الحجاب وغيرهم)

المشهد الثانى

حجرة أخرى فى بيت أنجلو

(يدخل المحافظ يتقدمه خادم)

الخادم : إنه فى مجلس القضاء ، وسيخرج حالاً وسأنبئه بقدومك .

المحافظ : افعل ، أرجوك . . فإنى أريد أن أعرف رأيه ، ولعله يثنى عن عزمه . وا حسرتاه ، إن كلوديو لم يخالف القانون إلا كما لو كان فى حلم ! وفى الناس من جميع الطبقات والأعمار شىء من هذا الإثم ولكنه هو يدفع حياته ثمناً له !

(يدخل أنجلو)

أنجلو : إيه أيها المحافظ ما الخبر؟

المحافظ : أو اقتضت مشيئتك أن يموت كلوديو غداً ؟

أنجلو : أو لم أقل لك هذا ؟ ألم تتلق أوامرى ؟ لماذا تعود إلى السؤال ؟

المحافظ : لئلا يؤخذ علىّ أننى مندفع شديد التهور ، فقد رأيت ـ بفضل حسن إرشادكم ، أن القاضى يندم على حكمه بعد انقاذه .

أنجلو : امض فيما أنت فيه ، ودع هذا الأمر لى ولتؤد واجبك أو تعتزل منصبك ولن نتوانى فى إعفائك .

المحافظ : إنى أطمع فى عفوك يا صاحب الفخامة وماذا نفعل يا مولاى بجوليت وهى تئن أنيناً ؟ لقد أوشكت أن تضع .

أنجلو : أحملها إلى مكان أنسب لحالها ، وعجّل .

(الخادم يقف بالباب)

الخادم : إن أخت المحكوم عليه تقف بالباب راغبة فى المثول بين يديك .

أنجلو : أوله أخت ؟

المحافظ : أجل يا مولاى الكريم ، وهى فتاة فاضلة جدًّا ستنذر نفسها للرهبنة فى القريب ، إن لم تكن قد نذرت نفسها فعلاً .

أنجلو : حسناً ، أدخلها علينا .

(يخرج الخادم)

أعمل على أن تنقل الزانية ، ولتهيأ لها أسباب المعونة الضرورية فى غير إسراف وسأصدر أمرى بهذا

(تدخل إيزابلا يصحبها لوشيو)

المحافظ : حفظكم الله يا صاحب الفخامة !

أنجلو : انتظر قليلاً (إلى إيزابلا) مرحباً بك ، وماذا تطلبين ؟

إيزابلا : إن لى عندك ملتمساً والأسى يملأ قلبى ، وكل ما أرجوه من فخامتكم أن تستمعوا إلى .

أنجلو : حسناً ، وما هو ملتمسك ؟

إيزابلا : إن ثمة رذيلة أمقتها أكثر من كل الرذائل ، ولشد ما أرغب فى أن ينالها سيف العدالة ، ومن أجلها وددتُ ألاّ أستعطفك ، ولكننى أجد نفسى مرغمة على هذا ، ومن أجلها يجب على

ألا أستعطفك ، ولكن نفسى تنازعنى بين الإقدام والإحجام .

أنجلو : حسناً وما خطبك ؟

إيزابلا : لى أخ قُضى عليه بالموت وإنى لأبتهل إليك أن تنزل قضاءك بجريمته ولا تأخذ أخى بها .

المحافظ : (بينه وبين نفسه) ألا فلتهبك السماء القدرة على ترقيق قلبه .

أنجلو : أنزل قضائى بالجريمة ولا أحاسب من ارتكبها ؟ عجباً ، إن كل جريمة قد رتّب لها عقابها قبل أن تقع ، إن منصبى لا تكون له قيمة بين المناصب إذا ما حل عقابى بالجرائم التى نص على عقوباتها فى شريعتنا وتركت المجرم يفلت من العقاب .

إيزابلا : يا لها من شريعة عادلة وإن كانت صارمة وإذن فقد كان لى أخ ، حفظكم الله يا صاحب الفخامة !

(تهم بالخروج)

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) لا تيأسى بهذه السرعة ، بل عاودى الكرة وابتهلى إليه ، اركعى بين يديه ، وتعلقى بردائه . إنك ممعنة فى الرزانة والتحفظ ، ولو أنك كنت تطلبين منه دبوساً لما طلبته بطريقة أكثر من ذلك تحفظاً ورزانة ، فهيا افزعى إليه !

إيزابلا : ألا مفر من موته ؟

أنجلو : لا حيلة فى ذلك أيتها الفتاة .

إيزابلا : بل إنى لأعتقد أنك قادر على العفو عنه ، ولن تأس السماء ولا الناس إذا أدركته رحمتك .

أنجلو : لن أفعل ذلك .

إيزابلا : ولكن أوتستطيع إن شئت ؟

أنجلو : اصغ إلى ، ما لا أريده لا أستطيعه .

إيزابلا : ولكن أمن الممكن أن تناله رحمتك فلا يضار بذلك أحد من الناس ، ويرق قلبك شفقة عليه كما رق قلبى له ؟

أنجلو : لقد صدر الحكم عليه ، وسبق السيف العذل .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) لشد ما أنت رزينة متحفظة .

إيزابلا : سبق السيف العذل ؟ كلا ، إنى أنا إذا قلت كلمة ففى مقدورى أن أسحبها ، ألا فلتثق بقولتى هذه كل الثقة : ما من فضيلة أليق ولا أكرم بالعظماء من الرحمة ، فلا تاج الملك ، ولا سيف نائبه ولا عصا القائد ، ولا ثوب القاضى يزينهم بنصف ما تزينهم به هذه الفضيلة . ولو كان أخى فى مكانك وكنت أنت فى مكانه لانزلقت كما انزلق ، ولما بلغ ما بلغت من صرامة .

أنجلو : أرجوك أن تنصرف .

إيزابلا : يا إله السموات ليت لى سلطانك ، وليتك كنت إيزابيلا ! فهل كانت الأمور إذن تسير على هذا النحو ؟ كلا ، لقد كنت خليقة حينئذ بأن أريك كيف يكون القاضى وكيف يكون

السجين .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) مرحى ، هزى أوتار قلبه فهذا هو سبيلك إليه .

أنجلو : لقد استباح القانون دم أخيك ، وإنك لتضيعين ألفاظك فيا لا طائل تحته .

إيزابلا : واحرّ قلباه ، واحرّ قلباه ! عجباً ، إن جميع البشر الذين عاشوا فيما سلف قد ضلوا فى الماضى ولكن الرب الذى كان فى قدرته أن ينزل بهم العقاب وجد لهم سبيل الخلاص ، فكيف بك إذا حاسبك على ما أنت فيه وهو الديّان الذى ليس بعده ديان ؟ ألا فلتفكر فى ذلك ، ولا شك عندى فى أن الرحمة ستشرق من بين شفتيك وكأنك إنسان خلقت خلقاً جديداً .

أنجلو : ألا فليسترح ضميرك أيتها الفتاة الحسناء ، فإن القانون هو الذى يدين أخاك ولست أنا . ولو أنه كان من عشيرتى ، أو أخى ، أو ابنى لكان هذا مصيره . لا مناص من أن يموت غداً .

إيزابلا : غداً ! أواه ، إنها لمفاجأة ! اعف عنه ! اعف عنه ! إنه لم يتأهب للموت ، بل إننا إذا شئنا أن نهيئ موائدنا بالطعام لا نَذْبح الطيرَ إلا فى الوقت الذى يطيب فيه أكله فهل تكون رعايتنا للسماء أقل من رعايتنا لبطوننا ؟ ألا فلتفكر فى الأمر يا مولاى الكريم . من ذا الذى قتل من أجل هذه الجريمة ؟ ألا ما أكثر من ارتكبوها .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) مرحى ، لقد أحسنت القول .

أنجلو : إن القانون لم يمت ، وإن كان قد استسلم للنعاس ، ولو أن أول من خرج على القانون قد جوزى على فعلته لما اجترأ هؤلاء الكثيرون على ارتكاب تلك الجريمة . ولكن القانون قد استيقظ الآن من نعاسه وراح يرقب ما يحدث ، كأنه العرّاف ينظر فى كرته البلورية فتكشف له عما سوف يقع من الآثام ، سواء منها الجديد ، أو القديم يتجدد بالتوانى فينمو ويترعرع بمضى الزمن ، تلك الآثام التى يجب ألا نتركها تتوالد وتتوالد ، بل نئدها وهى بعد فى المهد .

إيزابلا : ألا فلتأخذه بشىء من الرحمة .

أنجلو : إنى لأظهر منتهى الرحمة عندما أعدل بين الناس . ذلك أننى عندئذ أشفق على الذين لا أعرفهم ، فمن أبرئه من تهمته قضى مضجعه القلق والاضطراب ، أما من آخذه بذنبه فقد أنصفته لأنه لن يعيش حتى يرتكب جريمة أخرى . فليطمئن بالك ، فإن أخاك سيموت غداً ، ولتطب نفسك .

إيزابلا : وهكذا قدر عليك أن تكون أول من يصدر هذا الحكم ، كما قدر عليه أن يكون أول من يبتلى به . ألا ما أجمل أن تكون فى قوة الجبابرة ، ولكن التجبر إن تستخدم هذه القوة استخدام الجبارين .

لوشيو : (يسر إلى إيزابيلا) ما أحسن قولك .

إيزابلا : لو أرعد عظماء الرجال كما يرعد يوبيتر نفسه لما عرف يوبيتر طعم الهدوء ، ذلك أن كل رجل تافه أو موظف صغير خليق بأن يجعل ديدنه الإرعاد والإبراق ، ولا شيء غير الإرعاد والإبراق ! رحماك أيتها السماء ، فإنك لتؤثرين بصواعقك النارية العنيفة شجرة البلوط الصلدة ذات العقد فتفلقينها ، وتترفقين بشجرة الآس الرقيقة الناعمة . أما الإنسان ذلك المخلوق المتكبر فإنه ما إن توضع فى يده سلطة ضئيلة ، وهو الجاهل أشد الجهل بما يوقن أنه يعرفه صحيح المعرفة ألا وهو طبيعته السريعة العطب والفساد ، حتى ينهج نهج القرد الغضوب ، فيستعرض أمام السماوات العلا من الألاعيب والحيل العجيبة ما يبعث الدموع فى عيون الملائكة ، ولو قد أوتيت طبائع البشر لانشقت جنوبها من الضحك فخرجت عن طبيعتها الخالدة وأضحكت مثلنا معرضة للفناء .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) إيه ، زيديه ، ثم زيديه أيتها الفتاة ! إنه بلا شك سيلين ، إنى لأشعر أنه فى سبيله إلى ذلك .

المحافظ : (بينه وبين نفسه) اللهم أكتب لها الفوز عليه !

إيزابلا : إننا لا يمكن أن نقيس أخانا بالمقياس الذى نقيس به أنفسنا . فعظماء الرجال قد يمزحون مع القديسين ؟ وهذا منهم يعد حصافة وفطنة ، وممن دونهم كفر وإلحاد .

لوشيو : أصبت أيتها الفتاة ، زيديه .

إيزابلا : إن الكلمة ينطق بها القائد فى ثورة غضبه لا تعدو أن تكون كلمة أملاها السخط والحنق ، فإذا نطق بها الجندى كانت كفراً سافراً وتجديفاً صريحاً .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) أو قد اتصل هذا بعلمك ؟ زيديه !

أنجلو : لماذا تسوقين إلىّ هذه الأقوال ؟

إيزابلا : لأن صاحب السلطان ، وإن أخطأ كما يخطئ سواه ، فإن عنده الدواء الذى يجرد الرذيلة من ردائها ، فارجع إلى مكنون نفسك واطرق بابها ، وسل قلبك عما يعرف من ذنب يماثل ما اقترف أخى ، فإن باح بذنب كذنبه مما يتعرض له الناس فلا تدعه يوسوس لك بفكرة يجرى بها لسانك فتقضى على حياة أخى .

أنجلو : (بينه وبين نفسه) إنها لتتحدث حديثاً فيه من البصر وسداد العقل ما يجعل أفكارى تنساق وراءها — أستودعك الله .

إيزابلا : ألا فلتعد يا مولاى الرحيم .

أنجلو : سأفكر فى الأمر ، ولتعودى غداً .

إيزابلا : أعرنى سمعك لتعرف كيف سأرشوك غداً يا مولاى الكريم .

أنجلو : ماذا ! أترشيننى ؟

إيزابلا : أجل ، بنعم جزيلة سوف تشاركك فيها السماء .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) لقد أفسدت كل ما قدمت من أقوال .

إيزابلا : لن أرشوك بمثاقيل من الذهب النفيس الحر ، ولا بأحجار

كريمة يتفاوت قدرها باختلاف خيال من يقدرها ، بل بصلوات صادقة تصعد إلى السماء وتدخل أبوابها قبل شروق الشمس ، صلوات صادرة من نفوس مصونة ، صلوات تنطق بها عذارى قانتات صائمات لا تنصرف عقولهن إلى أى متاع من متاع الحياة الدنيا .

أنجلو : حسناً ، عودى إلى غداً .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) هلم ، فقد أحسنت ، هيا بنا نرحل !

إيزابلا : حفظ الله فخامتكم !

أنجلو : (بينه وبين نفسه) آمين ، لأنى سادر فى سبيل الغواية حيث تقف الصلوات حائلاً يعترض هذا السبيل .

إيزابلا : فى أية ساعة أمثل غداً بين يدى فخامتكم ؟

أنجلو : فى أى وقت شئت قبل الظهيرة .

إيزابلا : (تنحنى) حفظ الله فخامتكم !

(تخرج إيزابلا يتبعها لوشيو والمحافظ)

أنجلو : منك ؟ ومن عفتك نفسها ! ما هذا ، ما هذا ؟ أهى خطيئتها أم خطيئتى ؟ أيهما أشد معصية : صاحب الغواية أم صريعها ؟ عجباً ! إنها ليست صاحبة الغواية ولا هى أقدمت عليها . وإنما الذنب ذنبى ، فقد رقدت فى رحاب البنفسج تسطع عليه الشمس ، ولم يك شأنى كشأن الزهرة بل شأن الجيفة تفسد وتتعفن فى نعيم الدفء والأشعة الباهرة .

أو يمكن أن يفضح الخفر والحياء عواطفنا أكثر مما يفضحها
نزق المرأة وخفتها ؟ أفئن امتدت رحاب الأرض من حولنا
هفت نفوسنا إلى هدم المعبد وإقامة شرورنا وآثامنا مكانه ؟
ألا تبًّا لك ثم تبًّا ثم تبًّا ؟ ماذا تفعل يا أنجلو ومن تكون ؟
أو تشتهيها هذه الشهوة الدنسة من أجل تلك الصفات التى
تجعل منها فتاة طاهرة عفيفة ؟ ألا فلتحفظ على أخيها حياته !
فإن اللصوص يتاح لهم السرقة إذا كان القضاة أنفسهم
يسرقون . ماذا دهانى ! ترى أوقعت فى حبها حتى أننى أود أن
أستمع إلى حديثها مرة أخرى وأنعم بالتطلع فى عينيها ؟ ترى
إلام تذهب بى أحلامى ؟ إيه أيها العدو الماكر تروم أن توقع
قديساً فى شراكك فتتخذ من القديسيين حبائل لصيدك ؟
ألا ما أخطر الغواية تقودنا إلى الإثم افتتاناً بسحر الفضيلة .
وما من عاهر استطاعت بكل ما أوتيت من قدرة مزدوجة
قدرة فنها وقدرة طبيعتها أن تستثير يوماً مشاعرى ، أما هذه
الفتاة الطاهرة فقد غلبتنى على أمرى وملكت قيادى وكنت
قبل أن أراها أبتسم وأعجب إذا رأيت رجلاً يتدلّه فى الحب .

المشهد الثالث

فناء مسور أمام السجن

(يدخل الدوق متخفياً فى زى راهب ثم يدخل المحافظ كل منهما على انفراد)

الدوق : السلام عليك أيها المحافظ ! وإنى لأحسب أن هذا هو شأنك .

المحافظ : أنا المحافظ ، فما حاجتك أيها الراهب الصالح ؟

الدوق : لقد أتيت لزيارة النفوس الشقية التى تحل بهذا السجن مدفوعاً بعاطفة البر ووصايا طائفتى المباركة ، فأذن لى بحق ما جرى عليه العرف أن أرى هؤلاء التعساء ونبئنى بحقيقة ذنوبهم حتى أعظهم بما يناسب ما اقترفوا من آثام .

المحافظ : إنى لأفعل أكثر مما تريد لو اقتضى الأمر ذلك .

(تدخل جولييت مقبلة من السجن)

انظر هاك نزيلة من نزلاء السجن مقبلة ، إنها سيدة فاضلة فى كفالتى ، استجابت لسورة شبابها فلوثت صفحتها . إنها حامل ، وقد حكم بالموت على من علقت منه ، وهو رجل فى ربيع العمر كان أجدر به أن يرتكب إثماً آخر لا أن يدفع حياته ثمناً لهذا الإثم .

الدوق : ومتى يحل الأجل المضروب لموته ؟

الحافظ : غداً فيما أعتقد (مخاطباً جولييت) لقد دبرت لك أمر المكان الذى ستقيمين فيه ، فانتظرى لحظة ثم تؤخذين إليه .

الدوق : ألست نادمة أيتها الحسناء على الخطيئة التى تحملين ثمرتها فى أحشائك ؟

جولييت : أجل ، وأنى لأتحمل عارى بصبر بالغ .

الدوق : سأهديك إلى السبيل لمحاسبة ضميرك والتحقق من توبتك ! أهى توبة نصوح أم توبة جوفاء تتظاهرين بها .

جولييت : إنه ليطيب لى أن أهتدى .

الدوق : أوتحبين الرجل الذى أساء إليك ؟

جولييت : أجل أحبه حبى للمرأة التى أساءت إليه .

الدوق : وإذن فجريمتكما الكبرى قد وقعت فيما يبدو لى برضاء متبادل ؟

جولييت : أجل برضاء متبادل .

الدوق : إذن فإثمك أشد من إثمه .

جولييت : إنى أعترف بذلك يا أبت ، وأنا نادمة على ما فعلت .

الدوق : هذا جميل يا ابنتى ، ولكن يجب ألا ينصرف ندمك إلا إلى أن المعصية قد جرّت عليك هذا العار ، ذلك أننا نتحسر دائماً على أنفسنا ولا نتوجه بالحسرة إلى رب السموات ، وهذا يدل على أننا نتجنب إغضاب الله لا حبًّا فيه ، بل خشية منه .

جولييت : إنى لأندم لأنى ارتكبت شرًّا ، وأتقبل ما لحقنى من عار بنفس راضية .

الدوق : ألا فلتبق على هذه الحال . ولقد سمعت أن شريكك قد حق عليه الموت غداً ، وهأنذا ذاهب إليه لأعظه ، ألا فلتحل عليك البركة . بوركت !

(يدخل السجن)

جولييت : حق عليه الموت غداً ! تبًّا لك من قانون غاشم تمد لى فى حياة نعماؤها رعب مميت قاتل !

المحافظ : إن فى ذلك رحمة منه .

(ينصرف)

المشهد الرابع

غرفة فى بيت اللورد أنجلو

(أنجلو جالياً)

أنجلو : (ينهض) إنى إذا صليت أو فكرت انصرف تفكيرى وصلاتى إلى أمور شتى ، ولم تبلغ السموات من صلواتى إلاّ كلمات جوفاء . أما خيالى فلا يتعلق بهواتف لسانى ، بل ينصرف إلى إيزابلا ويتشدق فمى بذكر السماء كأننى بت لا أفعل أكثر من ترديد اسمها ، على حين ينمو فى قلبى ويزدهر الإثم الذى يتعلق به تفكيرى . إن موقفى الذى أمعنت فيه النظر لشبيه بكتاب جيد أكثر الناس من قراءته حتى فقد أثره ومل على الأسماع ، بل إنه لخير لى أن أقايض على هيبتى التى أعتز بها – وإنى لأرجو ألا يسمع كلامى هذا أحد – بريشة مهملة تعبث بها الرياح وأكون فى هذا من الرابحين . إيه أيها المنصب ، وإيه أيها الجاه ، ما أكثر ما ألقيتما الفزع فى قلوب الحمق بأبهتكما وجلالكما وأذللتما أهل الحجى بمظهركما الخدّاع ! أيتها الشهوة ما أنت إلا شهوة ، ولن يغير من قرن الشيطان أن نكتب عليه اسم الملاك الطاهر .

(يقرع خادم الباب ويدخل)

ماذا هناك ! ومن الطارق ؟

الخادم : فتاة راهبة تدعى إيزابلا تطلب المثول بين يديك .

أنجلو : أرها الطريق

(يخرج الخادم)

يا للسموات ! ما بال الدم يتدفق إلى قلبي ويحتشد فيه فيصيبه بالعجز ويسلب أعضائى الأخرى جميعاً ما لها من قدرة ؟ وهكذا شأن الجماهير الحمقاء مع من تنتابه غشية يتكأكئون عليه بقضهم وقضيضهم فيسدون عليه منافذ الهواء الذى ينعشه . وكذلك يفعل الشعب من رعايا ملك مرجّى ، ويتركون عملهم وتهرع جموعهم إلى حضرته حبًّا فيه وشغفاً به ، فيتخذ حبهم الفطرى مظهر الوقاحة والخروج على مقتضيات الأدب والاحترام .

(تدخل إيزابلا)

ما شأنك أيتها الفتاة الحسناء ؟

إيزابلا : جئت لأعلم ما استقرت عليه مشيئتكم .

أنجلو : إنه ليسرنى أن تعلمى بمشيئتى أكثر من سرورى بأن تسأليني ما هى . إن أخاك لا يمكن أن يبقى حيًّا .

إيزابلا : إنى لأسأل الله أن يحفظ فخامتكم ولوكانت هذه هى مشيئتكم .

أنجلو : ومع كل فقد يعيش حيناً ، وقد يمتد به الأجل كما يمتد بك

أوبى ، إلا أنه لا محالة ميت .

إيزابلا : بمقتضى حكمك ؟

أنجلو : أجل .

إيزابلا : أتوسل إليك أن تخبرنى بموعد تنفيذ الحكم فيه فلعله يستطيع فى المهلة الباقية له طالت أو قصرت أن يتهيأ للموت فلا تعتل نفسه ويصيبها السأم .

أنجلو : إيه ! ألا سحقاً لهذه الآثام القبيحة ! ! لقد كان من الخير أن نغفر ذنب من يقضى على حياة نفس خلقها الله وسواها غفراننا لذنب أولئك الذين ينغمسون من غير حياء فى لذاتهم فيلبسون الصور المحرمة صورة الله . ألا ما أيسر أن نزهق بالباطل نفساً خرجت إلى الوجود بسنة الله ، وما أيسر أن نحتال على الشرع فنزيف على الناس معدناً حرًّا بمعدن خسيس .

إيزابلا : إن هذا هو ما قضت به شريعة السماء لا شريعة الأرض .

أنجلو : أتقولين هذا ؟ إذن فلأعجّل بالرد عليك . أيهما أفضل عندك ؟ أن يقتص أشد القوانين عدالة من أخيك فيسلبه حياته ، أم تسلمين جسمك ، فى سبيل خلاصه ، إلى ذلك الإثم المحبب إلى النفس الذى وقعت فيه تلك المرأة التى لوثها أخوك ؟

إيزابلا : ألا فلتثق يا مولاى بأنه لأفضل عندى أن أسلم جسمى [٣] من أن أسلم روحى .

أنجلو : إننى لا أتحدث عن روحك ، فإن المعاصى التى نساق سوقاً إلى ارتكابها وإن كثرت لا يحاسبنا الله عليها .

إيزابلا : ماذا تقول ؟

أنجلو : أجل أقوله ولكننى لا أجزم به ، ذلك أننى أستطيع أن أراجع ما قلت . ألا فلتجيبينى عن هذا : إنى أنا الممثل للقانون المكتوب قد أصدرت على أخيك حكماً بالموت . فهلا يكون فى الشر شىء من الخير يستنقذ حياة أخيك هذا ؟

إيزابلا : أرجوك أن تشمله بإحسانك ، وإنى لأقول ، معرضة روحى للتهلكة ، بأن هذا لا يعد شرًّا قط ، وإنما هو خير .

أنجلو : أما وقد رضيت أن تقولى هذا معرضة روحك للتهلكة فقد سويت بين المعصية والإحسان .

إيزابلا : لو أن فى التماسى الإبقاء على حياته معصية فإنى أبتهل إلى الله أن يعيننى على احتمال وزرها ! أما إذا كان فى إجابتك ملتمسى إثم فإنى سأقصر صلاتى كل صباح على الابتهال إلى الله بأن يدخل هذا الإثم فى عداد ذنوبى ولا يحاسبك عليه .

أنجلو : كلا ، ولكن استمعى إلىّ : إن تفكيرك لا يتمشى مع تفكيرى

---

(٣) تريد إلى الموت .

فإما أنك جاهلة أو أنك تتظاهرين بالجهل مكراً ودهاءً ، وليس هذا منك بجميل .

إيزابلا : فلأكن جاهلة لا أصلح لشيء ، ولكن أرجو أن تتكرم فتعلم أنني لست أكثر من جاهلة .

أنجلو : وهكذا الحكماء يهونون من أقدارهم لتظهر حكمتهم أشد نوراً وأعظم بهاءً ، وكأني بهم تلك الأقنعة السود تبدي من الحسن المكنون ما يزري بالحسن إذا تعرى وأسفر . ألا فلتستمعي إليّ ، فإني لمحدثك حديثاً مكشوفاً حتى تتبيني ما أقول ، لقد قضى على أخيك بالموت .

إيزابلا : أعلم هذا .

أنجلو : وأن جريمته هي كما تعلمين ، فإنها من الجرائم التي يعاقب عليها القانون بالموت .

إيزابلا : هذا حق .

أنجلو : هبي أن الحيل قد أعيتك في إنقاذ حياته – وأنا أسلم بهذا ولا أسلم بغيره إلا على سبيل الجدل – ورأيت ، وأنت أخته ، أن شخصاً ما يشتهيك ، وهو قادر بحكم سلطانه على القاضي أو بحكم منصبه الرفيع أن يخلّص أخاك من قبضة هذا القانون الذي يهيمن علينا جميعاً ، وأدركت أنه ما من وسيلة على ظهر الأرض تبقي على حياته سوى أن تسلمي كنوز جسمك إلى الشخص المزعوم وإلا تركتيه يلاقي مصيره فماذا يكون

موقفك ؟

إيزابلا : إنى وأخى نستوى فى هذا ، أى أننى لوكنت قد حكم على بالموت لحملت على جسمى آثار السياط القاطعة كأنها الياقوت ، ولآثرت أن أتجرد من ملابسى للقاء الموت تجرد الوسنان لجّ به الشوق إلى الفراش ، على أن أسلم جسمى للخزى والعار .

أنجلو : إذن يجب أن يحل القضاء فى أخيك .

إيزابلا : وهذا أهون الشرين ، فخير للأخ أن يحل فيه القضاء المعجل من أن تموت أخته إلى الأبد فى سبيل خلاصه .

أنجلو : أولست إذن قاسية قسوة الحكم الذى نددت به ذلك التنديد ؟

إيزابلا : الفدية الشائنة والعفو الكريم أمران مختلفان ، ذلك أن الرحمة المشروعة لا تمت بسبب إلى الفداء الدنس .

أنجلو : لقد بدا مني أمرك بالأمس أنك صورت القانون فى صورة الطاغية وجنحت إلى القول بأن زلة أخيك كانت أقرب إلى اللهو منها إلى الرذيلة .

إيزابلا : مولاى عفوك ، فإن المرء كثيراً ما يتكلم كلاماً لا يعنيه إذا شاء أن يحصل على ما يبغى ، وإنى لأتسامح أحياناً وأتقبل ما أكره فى سبيل من أخلص له الحب .

أنجلو : ما نحن جميعاً إلا بشر ضعاف .

إيزابلا : وإلا فليمت أخى إن لم يكن له شريك فى إثمه ، وكان هو وحده الذى يتصف بضعف الرجال .

أنجلو : بل إن النساء ضعيفات أيضاً .

إيزابلا : أجل ضعيفات ضعف المرايا التى يتطلعن فيها إلى أنفسهن فما أيسر أن تنكسر وما أيسر أن تعكس الصور. النساء ! رحماك يا رب ! إن الرجال يفسدون طبيعة النساء باستغلال ضعفهن ، أجل ، قل إن النساء ضعيفات وكرر هذا القول مرات ، فإننا رقيقات كرقة طبائعنا نستجيب لأى مؤثر وإن كان زائفاً مصطنعاً .

أنجلو : إن هذا هو ما أعتقده حقًّا ، ولأستمد الشجاعة من شهادتك هذه فِى جنسك ، فآخذك بقولك ما دمت أعتقد أننا لا نبلغ من القوة ما يعصمنا من أن تهز الذنوب كياننا . ألا فلتكونى كما خلقت ، أى كونى امرأة ، فإن زدت فلن تكونى شيئاً ، أما إن كنت ، وهو ما تنم عنه جميع مظاهرك بأجلى بيان ، فأفصحى عن حقيقتك الآن بلبسك لبوس جنسك الضعيف .

إيزابلا : ليس لى إلا لسان واحد ، فأتوسل إليك يا مولاى الكريم أن تعود إلى سابق لغتك .

أنجلو : فلأصرحك القول ، إنى أحبك .

إيزابلا : لقد أحب أخى جولييت ، فقلت لى أنه سيدفع حياته ثمناً لحبه .

أنجلو : لن يموت يا إيزابلا إذا بذلت لى حبك .

إيزابلا : إنى لأعلم أن صلاحك يتخذ لوناً من الفجور يبدو أكثر من حقيقته لتستدرج به الآخرين .

أنجلو : صدقينى ! فقسماً بشرفى إن كلامى يعبر عن غرضى .

إيزابلا : ألا ما أقل هذا الشرف إن أنا صدقتك ، وما أخبث هذا الغرض يا للرياء ؟ يا للرياء ؟ سأفضحك يا أنجلو ، فخذ حذرك ؟ وقّع لى فى الحال أمراً بالعفو عن أخى ، وإلا أعلنت على الملأ بأعلى صوتى أى طراز من الرجال أنت .

أنجلو : ومن ذا الذى يصدقك يا إيزابلا ؟ إن اسمى الطاهر ، وحياة الصرامة التى أحياها وإنكارى لادعائك ، ومكانتى فى الدولة ، كل ذلك سيعلو على اتهامك فيغصّ حلقك بأقاويلك وتفوح منك رائحة الإفك والبهتان ، لقد بدأتُ ، وإنى لأطلق الآن لشهوتى العنان فاحملى نفسك على إرضاء نزوتى المتأججة ، ودعك من الخفر وكل ما فيه من دلال وإمعان فى التمنع ، فإنه يذهب بالغرض الذى يسعى هو إليه . أفتدى أخاك وسلمى جسمك لإرادتى ، وإلا فإن أخاك لن يقاسى الموت الذى سيحل به فحسب ، بل إن قسوتك سوف تنتزع منه الحياة قطرة قطرة فيطول عذابه . ألا فلتردّى علىّ غداً ، وإلا فبحق الحب الذى يمتلك الآن قيادى سأكون له الجبار الذى لا يرحم ، أما من ناحيتك فلتقولى

ما شاء لك القول ، فإن باطلى سيظهر على حقك .

(يخرج)

إيزابلا : لمن أشكو ؟ ومن يصدقنى إذا رويت هذه القصة ؟ إيه أيتها الأفواه الموكلة بالبلاء تنطوين على لسان ، لسان واحد يقضى بالإدانة ويقضى بالبراءة ، ويجعل القانون مطية لإرادته ويعلّق الحق والباطل بالشهوات تسيرهما كيفما شاءت ! لأذهبن إلى أخى فإنه وإن كان قد استجاب لنداء الجسد فإن فيه من الغيرة على الشرف ما لو أوتى معه عشرون رأساً لقدمها راضياً إلى عشرين نطعاً مخضبة بالدماء ولا تسلم أخته جسمها لهذا الدنس البغيض . إذن فلتعيشى يا إيزابلا طاهرة نقية ، ولتمت أيها الأخ ، فإن عفتنا أثمن من أخينا . ولأخبرن أخى برغبة أنجلو ، وأهيئه لتقبل الموت حتى تستريح نفسه .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

باحة أمام السجن

(يدخل الدوق متخفياً ، وكلوديو والمحافظ)

الدوق : إذن فأنت ترجو العفو من اللورد أنجلو؟

كلوديو : ليس للشقى من دواء إلا الأمل ، وإنى لآمل أن أعيش وإن كنت مستعدًّا للموت .

الدوق : وطّن نفسك على الموت ، وسواء كتبت لك الحياة أو الموت فإن ذلك أعذب عندك وأشهى . ولتجادل الحياة بهذا المنطق : إننى إذا فقدتك فقدت شيئاً لا يتشبث به إلا الحمقى ، فما أنت إلاّ نفس يتردد ، تتحكم فيه كل المؤثرات السماوية ، ولا تنقطعين ساعة عن تعذيب ذلك الجسم ، إنك لست إلاّ حمقاء يعبث بك الموت تجاهدين فى سبيله بمحاولتك الفرار منه ، فتزدادين سعياً إليه على الدوام . ثم إنك لست نبيلة ، لأن كل ما تحملين من بهاء وجلال قد شب وترعرع فى أحضان الخسة والدناءة . وليس فيك من الشجاعة

شيء ، لأنك تخافين لسان الدودة[1] الحقيرة المتشعب على
نعومته ورقته . إن راحتك الكبرى فى النوم ، تستجلبينه
كثيراً ، فلم تَفْرَقين من الموت ، وهو لا يزيد على النوم فى
شيء . إن مظهرك أيتها الحياة غير مَخْبَرك ، لأن وجودك قائم
على ذرات لا تحصى خلقت من تراب . وأنت لا تنعمين
بالسعادة ، لأن ما ليس فى يدك تجاهدين وتدأبين على الجهاد
للحصول عليه ، وما فى يدك تنسينه . ثم إنك لا تستقرين على
حال ، لأن مزاجك يتقلب تقلبات عجيبة بتغير وجوه القمر .
وأنت فى غناك فقيرة ، لأنك كمثل الحمار ينوء ظهره بسبائك
الذهب ، تحملين أثقال ثروتك إلى حين ، ثم يأتى الموت
فيجردك من حملك . وليس لك من صديق . لأن أمعاءك
نفسها التى تعترف بأنك مولاتها وسيدتها ، أمعاءك التى خلقتها
من صلبك أنت ، تلعن النقرس والسعقة والزكام لأنها لم
تعجل بالقضاء عليك . وليس لك شباب ولا شيخوخة ،
وما هما فى الحق إلا نوم يدرك المرء بعد العشاء فيحلم بالاثنين
جميعاً ، ذلك أن شبابك السعيد كله يصبح وكأنه الشيخوخة
يلتمس الصدقة لكهل أعجزه الشلل ، وإن كنت عالية السن
غنية فقدت حميتك والتهاب عاطفتك وقوتك وجمالك

(١) يريد الحية .

وأصبحت فلا تستطيعين الاستمتاع بثروتك . فماذا يبقى لك من هذه التى يسمونها الحياة ؟ على أن هذه الحياة تخفى فى أحشائها ألف ميتة . وبعد ذلك كله تخشى الموت الذى يسوى بين هذه المتناقضات جميعاً .

كلوديو : أشكرك شكر العاجز عن إيفائك حقك ، لقد وجدت أن رغبتى فى الحياة تسعى بى إلى الموت . وإنى إذا رغبت فى الموت كتبت لى الحياة . فرحى بالموت .

(قرع على الباب)

صوت من الخارج : إيه يا أهل الدار ! السلام عليكم ، وبارك الله فيكم وأصلح حالكم .

المحافظ : من بالباب (يفتح الباب الخارجى) ادخلى فإن تمنياتك جديرة بأن تجعلك أهلاً للترحيب .

(تدخل إيزابلا)

الدوق : لن أغيب عنك طويلاً يا سيدى العزيز حتى أعود إلى زيارتك .

كلوديو : أشكرك يا سيدى الأجل الأقدس .

إيزابلا : لقد أتيت لأحدث كلوديو حديثاً جد قصير .

المحافظ : بكل سرور وارتياح – هاك يا سيدى أختك .

الدوق : أيها المحافظ إن لى كلمة معك .

المحافظ : تكلم كما تشاء .

الدوق : لتذهب بى إلى حيث أسمع كلامهما ولا يريانى .

(يخرج الدوق والمحافظ)

كلوديو : إيه يا أختاه ، أى عزاء جئت به إلى ؟

إيزابلا : عجباً ، عزاء ككل عزاء ، فيه كل الخير ، كل الخير حقاً . إن اللورد أنجلو له مع السماء شأن وصلة ، وقد اعتزم أن يوفدك على عجل سفيراً له فيها ، لتقيم هناك وكيلا عنه إلى ما شاء الله فبادر ما وسعك إلى التجهز لرحلتك ، فإن موعدك غداً .

كلوديو : أما من حيلة ؟

إيزابلا : كلا ، اللهم إلا أن تشطر قلباً شطرين لتنقذ رأساً من الهلاك .

كلوديو : ولكن ، هل من حيلة ؟

إيزابلا : أجل يا أخى ، قد تكتب لك الحياة ، فإن القاضى قد أوتى رحمة كرحمة الشيطان إذا فزعت إليها أنقذت حياتك ، ولكنها تكبلك بالأغلال حتى تموت .

كلوديو : أهى السجن المؤبد ؟

إيزابلا : أى نعم ، لقد أصبت ، إنها السجن المؤبد ، بل هى قيد يضعك فى حيز محدود وإن كان العالم كله ملك يديك .

كلوديو : ولكن بأية وسيلة ؟

إيزابلا : إنها وسيلة لو رضيت بها لسلبت الدوحة التى تنتمى إليها من الشرف وتركتك عارياً لا يسترك شىء .

كلوديو : أفصحى

إيزابلا : أواه ، إنى أخشى عليك يا كلوديو ، وأشفق من أن تؤثر حياة حافلة بأسباب القلق والاضطراب تمد فى أجلك ست سنين أو سبعاً ، على أن تحفظ شرفك على مر الأيام . أفلا تجرؤ على ملاقاة الموت ؟ إن خشية الموت تملك علينا تفكيرنا ، والحشرة الحقيرة نطأها بأقدامنا يقاسى بدنها من ألم النزع ما يقاسيه الرجل الجبار حين يلفظ أنفاسه .

كلوديو : لماذا تلحقين بى هذه الوصمة ؟ أو تظنين أننى أستطيع أن أستمد القوة والعزم من مخلوقة فى رقتك وعذوبتك ؟ إننى إذا حقّ على الموت لقيت وحشته كأنها عروس وأخذتها بين ذراعى .

إيزابلا : لأنت بهذا الحديث أخى حقًّا ، بل إنى لأسمع صوت أبى ينبعث من قبره . أجل لقد حق عليك الموت ، فإنك لأنبل من أن تتشبث بحياة المركب إليها ملطخ بالدنايا . ذلك أن هذا الذى يتولى الحكم فينا نيابة عن الدوق ما هو إلا شيطان بدا فى صورة قديس ، يستل بوجهه الهادئ الرزين وكلامه القاطع البات سورة الشباب من الرءوس يخمد الحماقات فى الصدور كما يفعل البازى بالطير ، ولو أنه قذف بما فى جوفه من أقذار لكانت بِرْكة حمئة قرارها كقرار الجحيم .

كلوديو : أنجلو ذلك القديس !

إيزابلا : أواه إنها ثيابُ المكر والخبث يخلعها الجحيم على الأجسام التى

كتبت عليها اللعنة الأبدية فتبدو فى مسوح الرهبان الأبرار !
أتتصور هذا ياكلوديو ؟ أفئن أسلمت له بكارتى تحررت أنت
من إسارك ؟

كلوديو : رحماك أيتها السموات ! إن هذا مستحيل .

إيزابلا : بل إنه سوف يبيح لك نتيجة لجريمتى المخلة بالشرف أن تستحل
إثمك وتلجّ فيه . والليلة هو الأجل الذى ضربه لى ، فإما
فعلت ما أستنكر أن أفوه به وإما لاقيت أنت مصيرك غداً .

كلوديو : إنك لن تفعلى هذا أبداً .

إيزابلا : أواه لو أن الأمر يتعلق بحياتى فحسب ، لنبذتها فى سبيل
نجاتك نبذ النواة .

كلوديو : شكراً لك يا عزيزتى إيزابلا .

إيزابلا : فلتهيئ نفسك للقاء الموت غداً ياكلوديو .

كلوديو : أجل . أو تقوده شهواته إلى الاجتراء على القانون فى اللحظة
التى ينفذ فيها أحكامه ؟ تالله إن جريرتى ليست من الإثم فى
شىء ! أو هى أهون الكبائر السبع جميعاً .

إيزابلا : أيها تقول إنه أهونها ؟

كلوديو : إذا كان هذا الإثم من الآثام التى حقت عليها اللعنة ، فكيف
به ، وهو العاقل العظيم الحكمة ، يرضى لنفسه العذاب المقيم
إشباعاً لشهوة عابرة ؟ أواه يا إيزابلا !

إيزابلا : ما الذى ترمى إليه يا أخى ؟

كلوديو : إن الموت شيء مخيف .

إيزابلا : وحياة العار ممقوتة مذمومة .

كلوديو : أجل ، ولكن أن نموت ونذهب إلى حيث لا ندرى ، ونهجع فى برد الجمود ويحل بنا الفساد ، ويستحيل هذا الجسم الحسّاس الحى الذى تشيع فيه الحرارة كومة مختلطة من تراب ، وتسبح تلك النفس التى ألفت المرح والانشراح فى طوفان من نار ، أو تستقر فى صعيد يكتنفه سور من الثلج سميك ، فتنتفض وترتجف ، أو تصبح حبيسة لتلك الرياح الخفية تهب عاصفة لا تهدأ حول هذه الأرض المعلقة فى الفضاء ، أو تكابد من البلاء ما يزرى بما يتصوره أصحاب الأفكار الضالة المضطربة من عذاب أليم — ألا ما أفظع الموت ! إن أشد ما قد ترمينا به الحياة الدنيا إثقالاً على النفس وتنفيراً لها كالشيخوخة والألم والحرمان والسجن لهو الفردوس إذا قيس إلى ما نلاقيه من خشية الموت .

إيزابلا : وا حسرتاه ، وا حسرتاه !

كلوديو : أيتها الأخت الحبيبة ، ابق على حياتى ، فإن ما تقترفينه من إثم لإنقاذ حياة أخيك لتغتفره لك الطبيعة حتى لتجعل منه فضيلة .

إيزابلا : تبًّا لك من وحش ! وتبًّا لك من جبان خسيس ! ثم تبًّا لك من شقى تجرد من الشرف ! أوتريد أن تصبح رجلاً بفضل

رذيلتى ؟ أليس من استباحة المحارم أن تستمد حياتك من عار يلحق بأختك من أمك وأبيك ؟ حاشا لله أن تكون أمى قد خانت فيك أبى ماذا عساى أقول ؟ فإن مثل هذه السقطة الشائنة لم تكن قط من شيمته . حاشاى أن أقبل منك أية نصيحة قمت ، وأهلك ! ألا فلينفذ فيك القضاء وإن لم يكلفنى ردّه إلا أن أنحنى . سأصلى ألف صلاة مبتهلة أن يحل بك الموت ، ولن ألفظ كلمة واحدة فى سبيل إنقاذك .

كلوديو : بل اصغ إلى يا إيزابلا .

إيزابلا : تبًّا لك ، تبًّا لك ، تبًّا لك ! إن ذنبك ليس وليد الصدفة ، بل هو سنّة ألفتها ودرجت عليها . ولو بسط لك جناح الرحمة لدنسته بإثمك ، فمن الخير أن يدركك الموت سريعاً .

(تبتعد عنه)

كلوديو : بالله عليك يا إيزابلا اصغ إلى !

(يتقدم الدوق)

الدوق : اسمحى لى بكلمة أيتها الأخت الصغيرة ، كلمة واحدة

إيزابلا : ماذا تريد ؟

الدوق : هلا استغنيت عن وقت راحتك ، فإنى أود أن أتحدث إليك بعد قليل . وإن ما أرجوه معك من خير سيعود بالفائدة عليك .

إيزابلا : ليس لدى فسحة من الوقت ، فإن بقائى يقتضينى أن أجور

على شئون أخرى ، على أننى سأبقى معك لحظة .

الدوق : (يأخذ كلوديو وينتحى به جانباً) يا بنى ، لقد سمعت عرضاً ما دار بينك وبين أختك . إن أنجلو لم يدر بخلده أن يفسدها ، وكل ما فعله هو أنه أراد أن يختبر عفتها حتى يستطيع أن يتولى القضاء وهو عالم بطبائع البشر ، أما هى فقد فطرت نفسها على الشرف فتلقت عرضه بإباء كريم اغتبط له أيما اغتباط . إننى أنا الذى يعترف أنجلو على يديه ، ولذلك أعلم أن ما قلت هو الحق فاستعد إذن للموت ولا تمنين نفسك بالآمال الكذاب ، إذ لا مناص من أن تموت غداً ، فاركع وتجهز للقائه .

كلوديو : دعنى أسأل أختى الصفح ، فقد سئمت نفسى الحياة حتى لأتمنى الخلاص منها .

الدوق : لتجعل هذا ديدنك ، أستودعك الله .

(كلوديو يخرج والمحافظ يدخل)

أيها المحافظ لى كلمة معك !

المحافظ : ماذا تشاء يا أبت ؟

الدوق : أما وقد وصلت فلترحل ، وخلّ بينى وبين هذه الفتاة لحظة . إن خلقى فى طهارة مسوحى ، ولن ينالها سوء من صحبتى .

المحافظ : على الرحب والسعة ، وليكن ما تشاء .

(ينصرف)

الدوق : (يلتفت إلى إيزابلا) إن اليد التى أبدعت حسنك قد أنعمت عليك بالصلاح والطهر. والصلاح إذا صحبه جمال يرخّصه فى نظر الناس لم تدم هذه الصحبة طويلاً ، ولكن الحسن الأبىّ الذى تنطبق به ملامحك خليق بأن يصون جمال محياك فلا يفسد أو يزول . وقد شاءت المقادير أن تحمل إلىّ نبأ تهجم أنجلو عليك ، ولو لم تكن لسقطته أمثلة تنم عن ضعف الطبيعة البشرية لعجبت لمسلكه . فعلام عولت لإرضاء هذا الذى يحكمنا نيابة عن الدوق وإنقاذ أخيك ؟

إيزابلا : أنا ذاهبة الآن لأبلغه جوابى . وإنى لأوثر أن يموت أخى بحكم الشرع على أن يولد لى ولد يأباه الشرع . ولكن ، أواه ، لشد ما انخدع الدوق الصالح فى أنجلو ! ولو قدّر للدوق أن يعود يوماً ، وقيض لى أن أكلمه فلن أحرك شفتى بلغو الحديث بل سأكشف له عن سوء حكم نائبه .

الدوق : لن تخطئى كثيراً بهذا الفعل . إلا أنه ، والأمور على ما هى عليه الآن ، سيروغ من اتهامك له ، ويزعم أنه إنما كان يختبر عفتك . فأنصتى جيداً لنصحى . إن الرغبة التى تتملكنى لفعل الخير تهدينى إلى علاج لهذه الحال . ولدىّ ما يحملنى على الاعتقاد بأنك سوف تقومين بعمل صالح غاية الصلاح تسدين به فضلا مشكوراً إلى سيدة بائسة مظلومة ، وتخلصين أخاك من شر هذا القانون الغاشم ، وتنقذين شرفك الرفيع من

الدنس ، وترضين الدوق الغائب عنا كل الرضا لو قدّر له أن يعود يوماً ويستمع إلى هذه القصة .

إيزابلا : زدنى إيضاحاً أيها الأب ، فإن لدى من الشجاعة ما يمكننى من الإقدام على أى عمل لا يبدو بخساً أمام ضميرى الحق .

الدوق : الفضيلة شيمتها الشجاعة ، والصلاح لا يهاب شيئاً قط . أو لم تسمعى بماريانا أخت فردريك ذلك الجندى العظيم الذى ضل فى البحر ؟

إيزابلا : سمعت بتلك السيدة ، وقد اقترن اسمها بعبارات المديح والثناء .

الدوق : لقد كان من الواجب أن يتزوجها أنجلو هذا ، ذلك أنه قد عقد خطبته عليها وتحدد يوم الزفاف ، إلا أن أخاها فردريك غرق فى البحر فى المدة ما بين الخطبة والزفاف ، وضاعت بائنتها فى سفينته التى ابتلعها اليم ، فانظرى هول الصدمة التى نزلت بهذه المرأة الطيبة المسكينة ، فقد رزئت بموت أخ نبيل استطارت شهرته وكان يكنّ لها أصدق ما يمكن أن يكنه أخ لأخته من حب ، وفقدت بموته ذلك الجزء من ميراثها الذى تعتمد عليه فى حياتها ، ألا وهو بائنة زواجها ، وبفقدها انفلت منها ذلك الزوج المخادع الذى ارتبط بها بهذا الرباط المقدس .

إيزابلا : أمن الممكن أن يحدث هذا ؟ أو هجرها أنجلو على هذا النحو ؟

الدوق : تركها تسكب الدمع ، ولم يرقأ دمعة واحدة بعزاء أو سلوى ، وتنكّر لعهوده جميعاً مدعياً أنه كشف من أفعالها ما يخدش الشرف . وصفوة القول أنه أغرقها فى أحزان لا تزال تكابدها من أجله ، ووقف هو جامداً كالصخر تغسله دموعها فلا يتأثر أو يلين .

إيزابلا : ألا ما أجزل نعمة الموت تخلص هذه الفتاة المسكينة من الدنيا ! وما أقبح هذه الحياة التى تبقى على مثل هذا الرجل ! ولكن كيف تستفيد هى من هذا المأزق ؟

الدوق : إنه جرح يسهل عليك شفاؤه ، وعلاجه لا ينقذ حياة أخيك فحسب بل يحفظ عليك شرفك أيضاً إن فعلت ما أشير به .

إيزابلا : خبرنى كيف يكون ذلك أيها الأب الصالح .

الدوق : لا يزال قلب هذه العذراء التى رويت لك قصتها مقيماً على حبها الأول ، وقد كانت قسوة حبيبها الغليظة خليقة من جميع الوجوه أن تطفئ نار حبها ، ولكن هذه القسوة كانت كالعائق يقف فى طريق التيار فيزيده شدة وجموحاً ، ألا فلتذهبى إلى أنجلو وأرضى رغبته متذرعة بتلك الطاعة التى يرضى الناس ظاهرها وأجيبيه إلى كل ما يطلب ، ولكن اشترطى عليه أولاً ألا يطول بقاؤك معه ، وأن يسود الظلام والسكون وقت لقائكما ، وأن يكون مكان اللقاء مريحاً مناسباً . فإذا أجابك إلى طلبك هذا فى حينه ، وأعقب ذلك كل ما دبرناه ،

وأوعزنا إلى تلك الفتاة المظلومة أن تفى هى بموعدك وتحل محلك حتى إذا افتضح أمر هذه الخلوة فيما بعد أصبح من الممكن أن يضطر إلى تعويضها ، وعندئذ يتيسر بذلك إنقاذ حياة أخيك ، ويسلم شرفك من الأذى وتنال ماريانا المسكينة بغيتها ، وتحل الوصمة بهذا النائب الفاسد . وسأهيئ الفتاة لهذا الأمر وأعدّها للقيام بهذه المحاولة . فإن رأيت أن من الخير أن تنفذى هذه الخطة وأنت قادرة عليها ، فإن المنفعة التى تعود على الطرفين تجرد هذه الخدعة من أسباب الملامة . فما قولك فى ذلك ؟

إيزابلا : إن فكرة هذه الخدعة قد رضيت عنها نفسى بالفعل ، وإنى لأعتقد أنها خليقة بأن تؤتى أطيب الثمرات .

الدوق : إن عاد نجاحها فى يديك . فعجّلى بالذهاب إلى أنجلو فإذا دعاك إلى فراشه الليلة ، منّيه بالرضا . أما أنا فسأذهب من فورى إلى قرية القديس لوقا ، وهناك تقيم ماريانا التى هجرها حبيبها فى البيت الريفى المنعزل الذى يكتنفه الخندق . فاسألى عنى فى هذا المكان ودبرّى الأمر مع أنجلو بحيث يتم لنا ما نريد بلا إبطاء ولا إمهال .

إيزابلا : شكراً لك على هذه الطمأنينة التى بعثتها فى نفسى وأستودعك الله أيها الأب الصالح .

(تخرج)

المشهد الثانى

(يدخل إلبو مع بعض الضباط وفى صحبتهم يومبى مقبوضاً عليه)

إلبو : تالله لو لم يكن لك من سبيل إلا أن تشترى الرجال والنساء وتبيعهم بيع السائمة لأصبح الناس جميعاً يحتسون النبيذ الحلو ، أبيضه وأسمره .

اللدوق : رباه ! ما هذا الذى أرى ؟

يومبى : لم يبق فى الدنيا شىء من المرح ، ذلك أن السببين الباعثين عليه وهما الفجور والربا ، قد قضى على أشدهما مدعاة له ، على حين أباح القانون لشر السببين أن يتدثر برداء من الفراء يبقى عليه نعمته ، بل إن جلد الحمل قد اكتسى أيضاً بفراء الثعلب علامة على أن المكر ، وهو أثمن من البراءة ، قد اتخذ أداته للتجميل والزينة .

إلبو : امضى فى طريقك يا سيدى – وأنت أيها الأب الأخ[٢] الصالح فليباركك الله .

اللدوق : وليباركك الله أيضاً أيها الأخ الأب الصالح . أية جريمة اقترفها هذا الرجل فى حقك يا سيدى ؟

---

(٢) الأخ فى الجملتين تعنى الراهب والفكاهة تظهر أكثر وضوحاً فى الفرنسية .

إلبو : تالله يا سيدى إنه أجرم فى حق القانون ، ونحن يا سيدى نعتقد أنه لص أيضاً يا سيدى ، ذلك أننا وجدنا معه يا سيدى آلة عجيبة لفتح الأقفال بعثنا بها إلى النائب الحاكم .

الدوق : تبًّا لك وسحقاً ! قوّاد وقوّاد أثيم ! إن الشر الذى تسبب فيه هو سبيلك إلى الحياة . فهلا فكرت ولو قليلاً فى الحال من يملأ بطناً ويكسو ظهراً من مثل هذه الرذيلة الدنسة . ألا فلتخاطب نفسك وقل لها إننى أشرب وأطعم وأكتسى وأعيش من علاقات الناس البهيمية الممقوتة . أو تظن أن حياتك حياة وهى تعتمد على هذه الأقذار البالغة الحقارة ؟ اذهب وأصلح من شأنك ، اذهب وأصلح من شأنك .

بومبى : الحق يا سيدى أن حياتى قذرة من بعض النواحى ، على أننى مستعد مع ذلك أن أثبت . .

الدوق : حاشا ، فلو أن الشيطان أمدّك بالحجج تؤيد بها المعصية لوجدت له عذراً يبرر معصيته — امض به إلى السجن أيها الضابط فلا مناص من أن يتكاتف التأديب والتهذيب على إصلاح حال هذا البهيم الوقح .

إلبو : يجب أن يمثل بين يدى نائب الحاكم يا سيدى ، فقد بعث إليه يستدعيه ، ذلك أنه لا يطيق أن يسمع بوجود قوّاد . فإن كان قوّاداً ومثل بين يديه فإن من الخير ألا يقدم قط على رحلته .

الدوق : ليتنا كنا جميعاً أبرياء من الإثم كما يزعم البعض منا ، ويا ليتنا نبرأ من النفاق إن عصينا وأخطأنا !

إلبو : سيسعى عنقه إلى خاصرتك يا سيدى يستعير منها الحبل الذى تتمنطق به .

پومپى : إنى لألمح العون مقبلاً ، وأستصرخ طالباً الكفالة ، هاكم سيداً هو صديق لى .

(يدخل لوشيو إلى ساحة السجن)

لوشيو : ما بالك يا پومپى أيها الرجل النبيل ! أتراك فى عجلة قيصر ؟ أم تراك أسيراً مسوقاً فى موكب النصر ؟ ماذا أرى ، وهل أقفرت ساحتك الآن من نسوة برئن على صورة تمثال بيجماليون وقد دبت الحياة فيه حتى تضع يدك فى جيبك فتخرج مليئة بالمال ؟ إيه ما جوابك ؟ وما قولك فى هذا اللحن ومعدنه وطريقته ؟ يا سبحان الله ، أو لم تبدده الأمطار الأخيرة فيما بددت ؟ ما قولك أيها الرجل العتيق فى الصنعة ؟ وهل الدنيا كما كانت يا صاح ؟ وكيف حالها ؟ أهى حزينة شحيحة ؟ أما ماذا ؟ ومامزاجها ؟

الدوق : إن حالها دائماً بين هذا وذاك ، بل إنها لتزداد سوءاً على الدوام .

لوشيو : وكيف حال بنيتى العزيزة سيدتك ؟ أو لا تزال تجلب النساء ؟

پومپى : الحق يا سيدى أنها قد استهلكت كل ما عندها من لحم ،

وأضحت هى نفسها غارقة فى الدست .

لوشيو : وأيم الله يا سيدى ، إن هذا شىء جميل ، وهو الحق والعدل ، بل هو الشىء الذى لا دافع له . فلكلِ عاهر جديدة على الصنعة قوّادها المحنكون ، وهذه نتيجة لا مفر منها ، وأمر لا محيص عنه . أذاهب أنت إلى السجن يا پومپى ؟

پومپى : أجل وأيم الحق يا سيدى .

لوشيو : لعمرى ليس فى الأمر ما يسوء يا پومپى . أستودعك الله . امض إلى سبيلك وقل لهم إنى أنا الذى بعثت بك إليه . أمن أجل الدين تسجن يا پومپى ؟ أم لسبب آخر ؟

إليو : لأنه يحترف القوادة ، لأنه يحترف القوادة .

لوشيو : حسناً ، إذن ألق به فى السجن ، وإذا كان السجن جزاء القوّاد فلا عجب أن يحق عليه . إنه قوّاد لا شك فى ذلك ، وقوّاد عريق ، ولد فى أحضان القوادة . أستودعك الله يا پومپى أيها الرجل الطيب . سلامى إلى السجن يا پومپى . إنك ستغدو الآن رب بيت صالح ، فلا محيص لك من أن تلزم الدار .

پومپى : إنى لآمل يا سيدى أن تضمنى

لوشيو : كلا ثم كلا يا پومپى ، لن أفعل هذا ، فإنه شىء لم يألفه الناس ، بل سأصلى يا پومپى مبتهلاً أن يزداد الحجر عليك ،

فإن لم تتحمله فى صبر وجلد ازدادت أغلالك ضيقاً على ضيق وداعاً يا پومپي أيها الرجل الأمين– بوركت أيها الراهب .

الدوق : وبوركت أنت .

لوشيو : إيه يا پومپي ألا تزال بريدجيت دائبة على الرسم ؟

إلبو : امض لشأنك يا سيدى ، امض .

پومپي : إذن فإنك لن تضمننى ؟

لوشيو : لا وقتئذ ولا الآن يا پومپي ؟ قل لى أيها الراهب ، أثمة أخبار من الخارج ؟ هل من أخبار ؟

إلبو : امض لشأنك يا سيدى ، امض .

لوشيو : إلى حظيرة الكلاب يا پومپي ، اذهب .

(ينقل إلبو والضباط پومپي إلى السجن)

ما الأخبار أيها الراهب ، أعنى أخبار الدوق ؟

الدوق : ليس لى علم بشىء منها . فهلا أنبأتنى بشىء من أخباره ؟

لوشيو : يقول البعض إن الدوق مع إمبراطور روسيا ، ويقول آخرون إنه فى رومة ، ولكن قل لى فى أى مكان تظنّه ؟

الدوق : لا أدرى أين ، وإن كنت أرجو له الخير أينما كان .

لوشيو : لقد كانت منه خدعة حمقاء عجيبة أن ينسل من البلاد ، وينتحل صفة السائل التى لم يخلق لها قط . إن لورد أنجلو يحسن حكم البلاد فى غيبته ، فهو يضيّق على المذنبين أشد

التضييق .

الدوق : إنه يحسن صنعاً بذلك .

لوشيو : لو أنه ترفق بالدعارة أكثر مما فعل لما كان ذلك بضائره شيئاً ، فهو قد أسرف بعض الإسراف فى الشدة أيها الراهب .

الدوق : لقد عمّت هذه الرذيلة حتى وجب أن تعالج بالشدة .

لوشيو : أجل ، فلا ريب أيها الراهب أن لها شيعة غفيرة العدد وحلفاء أقوياء ، ولكن من المستحيل استئصال شأفتها إلا إذا حرمنا الناس المأكل والمشرب . وقد لهجت الألسنة بأن أنجلو هذا لم يولد من أب وأم بالطريق المستقيم على نحو ما يولد الناس . فهل تظننّ أن هذا صحيح ؟

الدوق : إذن كيف ولد ؟

لوشيو : يقول البعض إن حورية من حوريات الماء قد باضته ، ويقول آخرون إنه ولد فى حضن سمكتين من السمك المقدد ، على أن من المحقق أنه إذا تبول خرج بوله ثلجاً جمداً ، وإنى لواثق من ذلك . وهو من شخوص (الكراكوز) ، ولا شك فى هذا .

الدوق : إنك لفكه تسرف فى الحديث يا سيدى .

لوشيو : عجباً ، أية قسوة هذه التى تملكت قلبه فجعلته يقضى على حياة رجل غلبته شهوته على أمره ! أو تظنن أن الدوق الغائب كان يفعل ذلك ؟ لقد كان لا يشنق رجلاً خلّف مائة ولد سفاح إلا بعد أن يكفل ألفاً من أمثال هؤلاء . لقد كان يعرف

طعم الهوى ويدرك سر الغرام فاهتدى إلى الرحمة .

الدوق : ما سمعت قط أن الدوق الغائب عنا قد عرف عنه الولع بالنساء فإن ذلك لم يكن من شيمته .

لوشيو : لعمرى يا سيدى إنك لمخدوع فيه .

الدوق : هذا لا يمكن أن يكون .

لوشيو : لا يمكن بالنسبة للدوق ؟ بل هو الواقع فإن دوقك هذا الذى يتخفى فى زى سائل فى الخمسين من عمره قد جرى على أن يضع فى طبقها الذى تستجدى به «دوكات» ذهبية ، ثم إنه كانت له أطوار غريبة ، فقد كان يسكر أيضاً ، وهذا ما أستطيع أن أؤكده لك .

الدوق : لعمرى إنك لتظلمه .

لوشيو : سيدى ، لقد كنت صديقاً حميماً له ، وكان الدوق حيياً خجولاً ، وإنى لأحسب أننى أعرف سبب تخليه عن الحكم .

الدوق : هلا تفضلت فذكرت لى السبب ؟

لوشيو : كلا ، وأرجو ألا تؤاخذنى ، فإن ذلك سر يجب أن أحبسه فى صدرى ، على أننى أستطيع أن أنبئك بأن جمهور الشعب كان يؤمن بأن الدوق رجل حكيم .

الدوق : حكيم ! عجباً ، لا شك فى أن هذا كان شأنه .

لوشيو : بل هو رجل غاية فى الفسولة والجهل والطيش .

الدوق : لا يقول هذا القول إلا حاسد أو أحمق أو ظالم . فإن سيرته

نفسها والأعمال التى أداها لتشهد له بخير من ذلك إن كان فى حاجة إلى شهاد. فدع أعماله وحدها تتحدث عنه. وهو خليق عندئذ بأن يبدو فى عين الحسود عالماً ورجل حكم وجندياً. إنك إذن تتحدث عن جهل، أو قل إنك إذا كنت تعرفه أكثر من ذلك فإن سوء طويتك تعمى بصيرتك.

لوشيو : سيدى، إننى أعرفه وأحبه.

الدوق : إن من يحب يتحدث عن معرفة أكبر، ومن يعرف يفصح عن حب أعظم.

لوشيو : يقال يا سيدى فإنى أعرف عنه ما أعرف.

الدوق : يصعب على أن أصدق ذلك، فإنك لا تعى ما تقول، على أنه لو قدر للدوق أن يعود، وأسأل الله أن يستجيب لدعائنا فيكتب له العودة، فإنى أحب أن تمثل فى حضرته لتسأل عن أقوالك. فإن كنت صادقاً واتتك الشجاعة على تأييد ما قلت. وفى عنقى عندئذ أن أسأل عنك فبالله عليك ما اسمك؟

لوشيو : إن اسمى يا سيدى هو لوشيو، والدوق يعرفنى حق المعرفة.

الدوق : سوف يزداد معرفة بك يا سيدى، ولو قدّر لى أن أعيش فأنبئه بأمرك؟

لوشيو : لست أخشاك.

الدوق : واهاً لك! إنك لتأمل ألا يعود الدوق، أو تظن أننى خصم

لا ينالك منه أى ضرر . على أننى وأيم الحق أستطيع أن ألحق بك بعض الضرر ، وسوف تعود فتنكر ما قلت وتقسم على ذلك .

لوشيو : الشنق أحب إلىّ من هذا ، إنك مخطئ فى الحكم علىّ أيها الراهب . ألا فلتكف عن هذا الحديث . هلاّ أخبرتنى أو يلاقى كلوديو حتفه غداً أم لا ؟

الدوق : ولماذا يلاق حتفه يا سيدى ؟

لوشيو : لماذا ؟ لأنه ملأ زجاجة بقمع . ألا ليت الدوق الذى تتحدث عنه كان قد عاد ، فإن نائبه هذا العنّين سيقفر هذه الولاية من الناس تعففاً وزهداً ، إن العصافير يجب ألا تبنى أعشاشها فى طنوف بيته لأنها فاسقة داعرة . أما الدوق فكان يعاقب على الفعال السود خفية فى سواد الليل ، فلا يعرّضها قط لضوء النهار . ليته عاد ! تالله إن كلوديو هذا قد قضى عليه بالموت لأنه زان . أستودعك الله أيها الراهب الصالح ، وأتوسل إليك أن تدعو لى . وأعود فأكرر لك أن الدوق لا يصوم عن أكل لحم الضأن أيام الجمع ، فإنه لم يبلغ سن الصيام بعد . وأقول لك أيضاً أنه يتعفف عن تقبيل سائلة وإن فاحت منها رائحة الخبز الأسمر والثوم . فاذكر عنى أننى قلت هذا ، وأستودعك الله .

(يخرج)

الدوق : ما من قوى أو عظيم فى هذه الدنيا يسلم من ألسنة الناس . فإن الغيبة تطعن من الخلف أنقى الفضائل وأطهرها . وأى ملك مهما أوتى من سلطان يستطيع أن ينتزع سموم الحقد من ألسنة العيّابين المغتابين؟ ولكن ، ترى من القادم علينا ؟

(يدخل إسكالس ، والمحافظ ومعهما ضباط يحرسون السيدة أوفردن)

إسكالس : اذهبوا ، وألقوا بها فى السجن !

السيدة أوفردن : مولاى الكريم ، أحسِن إلىّ ، فقد عُرفتم فخامتكم بالرحمة ، يا مولاى الكريم .

إسكالس : لقد حذرناك مثنى وثلاث ، وما زلت سادرة فى غيك ! إن هذا يحمل الرحمة على أن تسب وتلعن ويجعلها تلبس لباس الطاغية المستبد .

المحافظ : عفوك يا مولاى ، إنها قوّادة مارست صنعتها أحد عشر عاماً سوياً .

السيدة أوفردن : مولاى إن هذا القول وشاية فى حقى من رجل يدعى لوشيو. فقد حملت منه السيدة كيت كيداون فى عهد الدوق ، ووعدها بالزواج ، وسيبلغ ولده منها سنة وربع سنة فى عيد أول مايو وقد كفلته أنا نفسى ، ومع ذلك انظر كيف يسعى فى الإساءة إلى !

إسكالس : إن هذا الرجل فاجر داعر ، فليستدع للمثول بين أيدينا ، وخذوا هذه المرأة إلى السجن !

(ثم يوجه كلامه إلى السيدة أوفردن)

هلمى ولا تزيدى حرفاً .

(يجرها الضباط إلى الخارج)

أيها المحافظ لقد أبى أخى أنجلو أن يعدل عن حكمه ، ولا مناص من أن يلقى كلوديو الموت غداً . فاعملوا على أن تزودوه بالأسرار الربانية ليتهيأ للقاء ربه ولا تبخلوا عليه بشيء فى هذا السبيل . ولو أن شفقتى به ورثائى لحاله قد رققا عليه قلب أخى لما انتهى إلى هذا المصير .

المحافظ : عفوك يا مولاى ، فإن هذا الراهب كان فى صحبته ، ووعظه بما يؤهله للقاء الموت .

إسكالس : طاب مساؤك أيها الأب الصالح !

الدوق : باركك الله وأنعم عليك بنعمة الصلاح !

إسكالس : من أى بلد أنت ؟

الدوق : لست من أهل هذا البلد ، وإن كانت ظروفى تقتضينى أن أبقى فيها إلى حين ، إننى راهب أنتمى إلى طائفة كريمة ، وقد جئت أخيراً من رومة فى مهمة خاصة ندبنى لها صاحب القداسة البابا .

إسكالس : وما أخبار العالم خارج هذا البلد ؟

الدوق : ما من خبر إلاّ أن حمّى الفضيلة قد استعرت استعاراً لا شفاء لها منه إلا بموتها . ولم يعد للناس من شاغل إلا السعى وراء

كل جديد . وإن من الخطر أن يداوم المرء على سنّة واحدة لا يتحول عنها قط ، كما أن من الفضيلة أن يثبت على أى عمل يضطلع به . ولم يبق فى الدنيا من الحق الذى يحفظ على الجماعات أمنها وسلامتها إلا القليل النادر ، ولكن فيه من الضمانات إلى عهود الصداقة ما يجعل الصداقات لعنة من اللعنات . وإن ما فى العالم من حكمة يجرى على هذا النحو من الألغاز والغموض . هذه أخبار قديمة غاية فى القدم ، ومع ذلك فهى أخبار كل يوم . بالله يا سيدى خبرنى كيف كانت حال الدوق ؟

إسكالس : كانت حاله حال من يضع جهاده فى سبيل معرفة نفسه خاصة فوق كل جهاد .

الدوق : ترى أية متعة أخلد إليها ؟

إسكالس : متعة من يرى أن سرور غيره أحب إليه من أى شىء يجلب إلى نفسه السرور . إنه رجل فاضل أخذ نفسه بالاعتدال فى كل الأمور . ألا فلنتركه لشئونه ، وحسبنا أن نبتهل إلى الله أن يكتب له التوفيق فيها ، واسمح لى أن أسأل عن كلوديو وكيف تهيأ للقاء الموت ، فقد أنبئت أنك تفضلت عليه بالزيارة .

الدوق : إنه يقول إن قاضيه لم يجر عليه فى الحكم ، وهو يستسلم لحكم القضاء بنفس راضية ، ولكن ضعف النفس البشرية قد زينت له التعلق بكثير من آمال الحياة الكذاب ، وقد

استطعت بفضل ما اتسع لى من وقت ، أن أبصّره بحقيقة هذا السراب فأصبح الآن مستعداً للقاء الموت .

إسكالس : لقد أديت واجبك نحو الله ، ووفّيت للسجين بالدين الذى فرضته عليك رسالتك المقدسة . ولقد جاهدت فى سبيل هذا السيد المسكين إلى أقصى ما تبيحه لى حدود الحشمة والوقار . ولكنى آنست فى زميلى القاضى من الصرامة ما دفعنى إلى القول له بأنه حقًّا مثال للعدالة .

الدوق : إذا كانت حياته الخاصة تتمشى مع استقامته فى تصريف أمور الناس فأنعم به وأكرم . أما إذا قدّر له أن يزل ويضعف فقد حكم على نفسه بنفسه .

إسكالس : إنى لذاهب لزيارة السجين . أستودعك الله .

الدوق : سلام الله عليك !

(إسكالس والمحافظ يدخلان السجن)

إن الذى يحمل سيف السماء يجب أن تكون طهارته فى مثل صرامته وأن يجعل نفسه مثالاً للناس حتى يعلم كيف يجب أن تكون الرحمة ، وأى طريق يجب أن تسلكه الفضيلة . وأن يحاسب الناس على ذنوبهم بمثل ما يحاسب به نفسه على ذنوبه بلا زيادة أو نقصان . ولبئس الرجل يجور فى حكمه جورًا فيقتل الناس بذنوب يطيب له أن يتردّى فيها ! وليخسأ أنجلو ثم ليخسأ ويخسأ ، يستل رذيلة غيره ويمد الحبل لرذيلته هو !

ألا ما أكثر ما يبطن الإنسان من الشر وإن ظهر فى ثياب الملائكة ! وما أكثر ما يرتكبه من الجرائم من يتشبهون بغيرهم ويظهرون على غير حقيقتهم ويخادعون الزمان بأفعالهم فتنسج من خيوط العنكبوت الواهنة شباكاً تطوق بها أكبر الأشياء وأجلها شأناً ! ألا فلأسلّط الدهاء على الرذيلة . إن أنجلو سيضاجع الليلة خطيبته التى يبغضها . وهكذا يلقى المخادع على يد المخدوع ختالا يجازيه على ما أخلف من وعد ويستنجزه مانكث به من عهد قديم .

(ينصرف)

الفصل الرابع

المشهد الأول

حديقة البيت الريفى الذى يكتنفه خندق – ساعة متأخرة من العصر

(ماريانا جالسة ومعها غلام)

الغلام : (يغنى) أبعدى بالله عنى هاتين الشفتين ، أبعديهما فما أعذبهما من ناكرتين للعهود والمواثيق ، وهاتين العينين تسطعان كفلق الصبح فتضلاّن بأنوارهما ضوء النهار. ولكن ردّى إلىّ قبلاتى ، ردّى إلىّ قبلاتى ، فقد ضاعت عهود الحب وولت كأنما لم يكن لها وجود .

(يدخل الدوق إلى الحديقة متخفياً كما كان من قبل)

ماريانا : (تنهض) ألا فلتكف عن غنائك وعجّل بالانصراف فها هوذا رجل العزاء والسلوى قد أقبل ولطالما هدّأ بنصحه ومشورته نار السخط تضطرم فى قلبى

(يدخل الغلام فى البيت)

أسألك المغفرة يا سيدى ، وكم كنت أود ألا تجدنى هنا على هذه الحال وقد استخفنى الطرب لسماع الموسيقى ، فاعذرنى وصدقنى إذا قلت لك إنها لم تفعم قلبى بالمرح ولكنها خففت

من أشجانى .

الدوق : أصبت وإن كانت الموسيقى كثيراً ما يكون لها من السحر ما يجعل الشر خيراً ، ويدفع الخير إلى الإضرار بالناس . خبريني بالله ألم يسأل عنى أحد هنا اليوم ؟ فقد تواعدت مع شخص أن ألقاه قرابة هذه الساعة .

ماريانا : لم يسأل عنك أحد بعد ، ذلك أننى لم أبرح مكانى هذا طول اليوم .

(تدخل إيزابلا)

الدوق : إنى أثق فيك كل الثقة ، وقد حان حين موعدى ، فهلا تفضلت فتنحيت عن هذا المكان قليلا ، ولربما دعوتك بعد حين لشأن فيه مصلحتك .

ماريانا : إنى رهن إشارتك دائماً .

(تدخل ماريانا البيت)

الدوق : (مخاطباً إيزابلا) لقد جئت فى وقتك فرحباً بك . ما أخبار هذا النائب الفاضل ؟

إيزابلا : إن للنائب حديقة مسورة بالآجر يكتنف جانبها الغربى من الخلف كرمة دونها باب من ألواح الخشب يفتح بهذا المفتاح الكبير ، أما هذا المفتاح الآخر فيهيمن على باب صغير يؤدى إلى الحديقة عن طريق الكرمة . وقد وعدته أن أزوره هناك فى منتصف الليل .

الدوق : ولكن ، هل تستطيعين أن تهتدى إلى الطريق معتمدة على

معرفتك به ؟

إيزابلا : لقد بذلت فى ذلك ما ينبغى من يقظة والتفات ، فقد دلنى على الطريق مرتين وهو يهمس بالكلام ويتحسس سبيله ومنحنياته بيده تحسس المذنب العريق .

الدوق : ألم تتفقا على علامات أخرى يجب عليك أن تهتدى بها ؟

إيزابلا : كلا ، لم نتفق على شىء من ذلك قط اللهم إلا أن نلتقى فى الظلام ، وقد أبلغته بأن مقامى لا بد أن يكون قصير الأمد ، ذلك أننى أنبأته بأن خادماً ستصحبنى وتنتظرنى ، وهى تعتقد أننى جئت أقابله فى شأن يخص أخى .

الدوق : لقد أحسنت صنعاً . وإنى لم أنبئ ماريانا بحرف واحد من هذا السر – عجباً ؟ من بالداخل ! تعال !

(ماريانا تعود)

أرجوك أن تتعرف بهذه الفتاة فقد جاءت لأمر فيه مصلحتك .

إيزابلا : وهذه هى رغبتى .

الدوق : هل أنت واثقة أننى أعمل لخيرك ؟

ماريانا : أيها الراهب الصالح ، إنى أعرف فيك هذا ، وقد تبينته

الدوق : خذى إذن بيد رفيقتك هذه ، فإن فى جعبتها قصة تود أن تلقى بها إلى سمعك ، وسأنتظر حتى تعودا ، ولكن عجلا فقد آن لليل المرطوب أن يرخى سدوله .

ماريانا : هلا تفضلت بأن تتنحى ناحية ؟

(تخرجان)

الدوق : إيه أيها المنصب ، وإيه أيها الجاه ! إن ملايين العيون ترقبكما بنظراتها الضالة ، وتتعقب فعالكما جحافل من الشائعات تسير فى ركب من الإفك والتجسس بشتى أنواعه . إن ألف شطحة من الشطحات التى تجمع بها أفكار الناس تجعلكما مسئولين عن أحلامهم الفارغة وتشقيكما بما يراود هذه الأفكار من أوهام وخيالات .

(تعود ماريانا وإيزابلا)

مرحى بكما ، وعلام اتفقتما ؟

إيزابلا : لقد قبلت أن تأخذ على عاتقها تنفيذ الخطة يا أبت إن ارتضيته أنت .

الدوق : إنى لا أرتضيه فحسب بل ألتمس منها أن تفعله .

إيزابلا : ما عليك عندما تغادرينه إلا أن تقولى له فى صوت رقيق خافت «تذكر الآن أخى»

ماريانا : لا تخشى على شيئاً .

الدوق : وأنت يا ابنتى الرقيقة لا تخشى شيئاً قط فإنه زوجك بسابق العقد ، والتئام شملكما على هذا النحو لا معصية فيه لأن حقك فى الانتساب إليه يبرر الخديعة . فهيا ولنمض لشأننا ولنبذر الحب فى الأرض البور قبل أن نحصد منها قمحاً .

(ينصرفون)

المشهد الثانى

غرفة الحرّاس فى السجن ، بابان ، أحدهما يفتح على ساحة السجن
والآخر يؤدى إلى غرفة المساجين — منتصف الليل
(يدخل المحافظ وفى أعقابه پومپى)

المحافظ : (يجلس) إدن منى يا سيدى ، أتستطيع أن تقطع رأس رجل ؟

پومپى : أستطيع يا سيدى إذا كان الرجل أعزب ، أما إذا كان متزوجاً فإن رأسه لا يكون رأسه هو بل رأس زوجته ، وأنا لا أستطيع أن أقطع رأس امرأة .

المحافظ : الزم الجد يا سيدى ، ودعنى من نكاتك ، وأجبنى إجابة صريحة ، فإن كلوديو وبارناردين سينفذ فيهما حكم الإعدام فى صباح الغد . ولدينا هنا فى السجن جلاّد عام يحتاج فى قيامه بعمله إلى مساعد . فإذا تعهدت بمساعدته تخلصت من أغلالك وإلاّ قضيت فى السجن جميع المدة التى حكم بها عليك ، ولا يطلق سراحك إلا إذا جلدت فى غير رحمة لأنك كنت قوّاداً سئ السمعة قبيح الصيت .

پومپى : لقد كنت يا سيدى قوّاداً خارجاً على حدود الشرع منذ زمن لا تعيه ذاكرتى ، على أنه يطيب لى أن أغدو جلاّداً يرضى عنه الشرع . ويسرنى أن أتلقى شيئاً من العلم بالصنعة على يد زميلى .

الحافظ : (يشخص إلى الباب وينادى) أنت يا من هناك ! أبهورسن ! ترى أين يكون أبهورسن !

(يدخل أبهورسن)

أبهورسن : أتنادينى يا سيدى ؟

الحافظ : هاك يا سيدى رجلاً سيعاونك غداً فى تنفيذ حكم الإعدام ، فاتفق معه على أن يعمل معك مسانهة إذا رأيت فى ذلك مصلحة ، ودعه يقم معك هنا ، وإلاّ فاستخدمه هذه المرة ثم سرّحه ، وهو لا يستطيع أن يحتج بأنه اكتسب سمعة سيئة بالعمل معك ، فإنه كان قوّاداً .

أبهورسن : قوّاداً يا سيدى ؟ ألا لعنة الله عليه فإنه سيشين مهنتنا .

الحافظ : حسبك يا سيدى فإن كفتيكما متعادلتان حتى أن الريشة لكفيلة بترجيح إحدى الكفتين .

(يخرج)

پومپى : با لله خبرنى يا سيدى ، وأنت الرجل السمح الكريم ، ولا شك يا سيدى فى أن وجهك وجه سمح كريم وإن كانت نظراتك تنم عن حب للشنق ، أوتسمى عملك مهنة ؟

أبهورسن : أجل يا سيدى هو مهنة .

پومپى : لقد سمعت يا سيدى أن صبغ الوجوه مهنة ، والعاهرات يا سيدى وهن من أرباب صنعتنا ، يصبغن وجوههن فيثبتن من ذلك أن صنعتنا مهنة . ولكننى لا أستطيع أن أتخيل أن

الشنق مهنة ، وإن شنقت أنا نفسى .

أبهورسن : سيدى ، إنها مهنة .

پومپى : وما برهانك ؟

أبهورسن : إن حُلة أى رجل تُوائم اللص .

پومپى : فإن كانت أضيق من أن تتسع للص ظنها الرجل الشريف واسعة فضفاضة ، وإن كانت أوسع من اللص ظنها اللص أصغر من أن تتسع له ، وهكذا تُوائم اللص حلة كل رجل شريف .

(يعود المحافظ)

المحافظ : هل اتفقتما ؟

پومپى : أجل ياسيدى سأخدمه ، فإنى أجد أن مهنة الجلاد أحق بالتوبة من مهنة القواد ، ذلك أن الجلاد أكثر طلباً للمغفرة(١) .

المحافظ : عليك يا هذا أن تتزود بنطعك وبلطتك فى الرابعة من صباح الغد .

أبهورسن : هلم أيها القوّاد ، فسأعلمك مهنتى ، اتبعنى .

پومپى : إنى لمشوق إلى التعلم يا سيدى ، وأرجو أن تجدنى رهن إشارتك إذا عنّ لك يوماً أن تنتفع بى . لأن لك يا سيدى فى

---

(١) كان من عادة الجلاد أن يطلب الصفح من المجرم قبل أن يشنقه أويقطع رأسه .

عنق معروفاً حقًّا يقتضينى أن اردّ لك ما أسديت من جميل .

الحافظ : علىّ ببرناردين وكلوديو .

(يخرج أبهورسن وبومبى) .

إنى أرثى لحال أحدهما ولا أرثى مقدار خردلة لحال الآخر ، ولوكان أخى ، ذلك لأنه قاتل

(يدخل كلوديو) .

انظر ياكلوديو ، هاك أمر القاضى بإعدامك ، وها هوذا الليل قد انتصف تماماً ، ويجب ألا تحل الساعة الثامنة من صباح الغد حتّى تكون فى عداد الأموات[٢] أين برناردين ؟

كلوديو : لقد راح فى سبات عميق كأنه المسافر أضناه السعى البرىء حتى هدّ كيانه فاستلقى بلا حراك ، ولا يريد أن يفيق .

الحافظ : ومن ذا الذى يستطيع إصلاح حاله ؟

هلم اذهب واستعد .

(يسمع طرق من الخارج)

ولكن اصغ ! ترى ما هذا الصوت ؟ أسأل الله أن ينزل السكينة على قلوبكم .

(كلوديو يدخل السجن ويشتد الطرق فينهض الحافظ)

إنى مدركك حالاً أيها الطارق ، وأرجو أن تكون قد جئت

---

(٢) فى الأصل immortal ولكنه يعنى بالطبع dead .

بعفو عن كلوديو الحلو الشمائل ، أو أمر بإرجاء تنفيذ الحكم فيه .

(يفتح الباب الخارجى ويدخل الدوق متخفياً)

مرحباً يا أبت

الدوق : ألا فلتحطك أفضل أرواح الليل وأطهرها أيها المحافظ الصالح من الذى جاء إلى هنا أخيراً ؟

المحافظ : لم يأت أحد مذ قرع جرس النذير .

الدوق : ولا إيزابلا

المحافظ : ولا هى

الدوق : سيزورونك إذن فى القريب العاجل .

المحافظ : وهل من شىء تطيب به نفس كلوديو ؟

الدوق : إن ثمة أملاً .

المحافظ : يا له من نائب صارم !

الدوق : ليس الأمر ما تقول ، ليس الأمر ما تقول ، فإن حياة النائب لتتناسب وقضاءه النافذ وما اختطه لنفسه من شدة فى الحق ، فهو يكبح بتقشفه وزهده ما فى نفسه من شهوات يستلها من نفوس الناس بسطوته وسلطانه . ولو أن فيه من المعايب ما يسعى إلى تقويمه فى الناس لكان طاغية مستبدًا . أما والأمر كما ذكرت فإنه رجل عادل . . ها هم أولاء قد أقبلوا .

(يسمع طرق آخر ، ويدخل المحافظ إلى السجن)

إن هذا المحافظ رجل وديع مهذب ، ويندر أن يكون السجان الغليظ القلب صديقاً للناس .

(الطرق يشتد ويشتد)

عجبًا ! ما هذه الضوضاء ؟ إن ذلك الذى يوهن الباب الخلفى الصلد بضرباته لشخص تتملك روحه العجلة .

(المحافظ يعود)

المحافظ : يجب أن يبقى هنالك حتى ينهض الضابط فيدخله ، وهم الآن يستدعونه .

الدوق : ألم يصلك بعد أمر ينقض الأمر الأول الخاص بكلوديو ؟ أليس ثمة مفرّ من أن يموت غداً ؟

المحافظ : لم يصلنى شىء يا سيدى ، لم يصلنى شىء .

الدوق : لقد أوشك الفجر أن يطلع أيها المحافظ ، ومع ذلك فسيأتيك نبأ آخر قبل أن ينبلج الصبح .

المحافظ : لعلك تعرف أمراً ، ولكنى أعتقد أنه لن يأتى أمر ينسخ الأول ، فإننا لم نألف حدوث شىء من هذا القبيل ، ثم إن اللورد أنجلو قد جهر فى مجلس القضاء نفسه بعكس ما تقول .

(يدخل رسول)

هذا هو رسول اللورد .

الدوق : وها هوذا أمر العفو عن كلوديو .

الرسول : (يسلم كتاباً) لقد بعث مولاى اللورد بهذه الرسالة إليك ،

وحملنى أيضاً هذا التكليف بألا تحيد قيد أنملة عما جاء بها سواء من حيث الزمان أو المضمون أو غير ذلك من الظروف . عم صباحاً ، فإن النهار فيما يبدو لى قد أوشك أن يطلع .

(ينصرف الرسول)

المحافظ : سأمتثل لأمره .

(يقرأ الخطاب)

الدوق : (بينه وبين نفسه) هذا هو العفو عنه ، وكان ثمنه معصية اقترفها صاحب العفو نفسه . وهكذا تنتشر الجريمة بسرعة إذا ما ارتكبها صاحب السلطان . وإذا صدرت الرحمة عن الرذيلة ، فاضت هذه الرحمة حتّى ليصادق الناس المجرم من أجل الجريمة . إيه يا سيدى ما الأخبار؟

المحافظ : إن القول ما قلت لك ، ولعل اللورد أنجلو قد ظن أننى أهمل فى القيام بواجب منصبى ، فأراد أن يستحثنى بهذا التنبيه الذى لم يكن له ما يبرره . وإنى لأرى أن ذلك غريب منه لأنه لم يفعله معى من قبل .

الدوق : أرجوك أن تتلو على مسامعى رسالته .

المحافظ : (يقرأ) «اعمل على إعدام كلوديو فى الساعة الرابعة ، وإعدام برناردين بعد الظهر مهما بلغك من أوامر تخالف ذلك . وإذا شئت أن تزداد حظوتك عندى فابعث إلى برأس كلوديو قبل أن تحل الساعة الخامسة . وعليك بتنفيذ ما أمرتك به على خير

وجه ، واعلم أنه يترتب على ذلك أمور كثيرة لست فى حل من أن أفضى بها إليك الآن . فلا تهمل فى أداء واجبك ، وإلاّ عرضت حياتك للتهلكة » .

فما قولك فى ذلك يا سيدى ؟

الدوق : ومن يكون برناردين هذا الذى يجب إعدامه بعد الظهر ؟

المحافظ : رجل متحرر بالفطرة من كل قيد ، ولكنه نشأ هنا وترعرع ، فقد قضى فى السجن تسع سنين .

الدوق : وكيف اتفق أن الدوق الغائب عنا لم يطلق سراحه أو يقض بإعدامه ؟ لقد سمعت أن هذا كان وكده وديدنه .

المحافظ : لا يزال أصدقاؤه يستمهلون تنفيذ الحكم فيه ، والحق إن جريمته لم تثبت إلى الآن ثبوتاً قاطعاً حتى فى عهد حكومة أنجلو .

الدوق : وهل ثبتت الآن ؟

المحافظ : قد ثبتت ثبوتاً لا شك فيه ، ولم ينكرها هو نفسه .

الدوق : وهل أظهر الندم فى السجن ؟ وإلى أى حد بدا أنه تأثر به ؟

المحافظ : إنه رجل لا يهاب الموت بأكثر مما يهاب أن ينام مخموراً ، فهو مهمل مستهتر ، لا يخشى الماضى ولا الحاضر ولا المستقبل ، ولا يأبه بالحياة ولا يبالى بمصيره إذا مات .

الدوق : إنه فى حاجة إلى النصح .

المحافظ : لقد صم أذنيه عن كل نصح ، وظل يمرح فى السجن ،

ولو قد خلّى بينه وبين الهرب لما فعل. وهو قد دأب على الشراب عدة مرات كل يوم ، بل كان يمضى أياماً عدة ثملاً لا يفيق. وكثيراً ما كنا نوقظه من غفوته ونوهمه بأنه يساق إلى الإعدام ، ونطلعه على أمر زائف بإزهاق روحه فلا يتأثر بذلك مطلقاً.

الدوق : سنعود إلى سيرته بعد قليل. إن الأمانة والوفاء لمخطوطان على جبينك أيها المحافظ. فإن أنا لم أستطع أن أقرأهما حق القراءة فإن مهارتى الأولى تكون قد خانتنى. ولكن ثقتى فى حسن تدبيرى تدعونى إلى أن أكشف عن دخيلة نفسى مع ما فى ذلك من مجازفة. إن كلوديو الذى تلقيت أمراً بإعدامه لم يجرم فى حق القانون أكثر مما أجرم أنجلو الذى أصدر الحكم عليه ، وإنى إذْ أجعلك على بينة من هذا الأمر لأطلب منك مهلة قدرها أربعة أيام فقط فتؤدى لى بذلك خدمة عاجلة وخطرة فى آن واحد.

المحافظ : أرجوك يا سيدى أن تفصح بأى شىء أخدمك ؟

الدوق : بتأجيل الإعدام.

المحافظ : وآسفاه ، وكيف يتأتى لى ذلك ، وقد حددت ساعة الإعدام وصدر لى أمر صريح بأن أرسل رأس كلوديو إلى أنجلو ليراه وهددت بالعقاب إن أنا خالفت هذا الأمر ؟ وقد أتعرض لمثل ما يتعرض له كلوديو إذا أنا خالفت حرفاً واحداً مما أمرنى به

أنجلو .

الدوق : قسمًا بالعهد الذى عهدت عليه طائفتى لأكفلن لك السلامة إذا اتخذت ما أوصيك به مرشداً لك . ألا فلتعمل على إعدام برناردين فى هذا الصباح ، ثم ابعث برأسه إلى أنجلو .

المحافظ : لقد رأى أنجلو الشخصين ، ولا شك أنه سيعرف وجهه .

الدوق : عجباً لك ، إن الموت ليغير سحنة المرء تغييراً عظيماً ، وفى وسعك أن تضيف شيئاً من عندك . أحلق شعر رأسه وشذب لحيته وقل إن المذنب قد رغب فى أن يلقى الموت حليقاً ، وأنت تعلم أن العرف جرى بهذا ، فإن أصابك من جرائه شىء غير الحمد والعطايا الجزيلة فقسماً بالقديس الذى نذرت نفسى له لتكونن حياتى فداءً لك .

المحافظ : عفوك أيها الأب الصالح ، فإن فيما تطلب حنثاً بقسمى .

الدوق : وهل أقسمت يمين الولاء للدوق أو لنائبه ؟

المحافظ : أقسمت للدوق ونائبه .

الدوق : ألا تظن أنك لا ترتكب إثماً إذا أيد الدوق عدالة تصرفك ؟

المحافظ : ولكن أى احتمال ينطوى عليه قولك هذا ؟

الدوق : إنه ليس احتمالاً بل يقيناً . على أنى إذ أراك وجلاً حتى عزّ على أن أستميلك فى يسر بمظهرى واستقامتى وحججى فإنى سأجاوز الحد الذى رسمته لنفسى لأنتزع من نفسك كل ما ساورها من مخاوف . انظر يا سيدى ، هاك خط الدوق

وخاتمه ولا شك عندى فى أنك تعرف كتابته ، وليس خاتمه بالغريب عليك .

الحافظ : إنى أعرفهما جميعاً .

الدوق : إن مضمون هذه الرسالة ينبئنى بعودة الدوق . ولسوف تقرأها من فورك كما يحلو لك فتتبين أن الدوق سيعود فى خلال يومين ، وهذا الأمر لا يعلمه أنجلو ، ذلك أنه سيتلقى فى يومنا هذا رسائل فيها أنباء عجيبة ، بعضها يزعم أن الدوق قد مات ، وبعضها يقول إنه دخل ديراً من الأديرة ، على أنه لم يقع شىء مما ورد فى هذه الرسائل . انظر ترى نجم الصبح قد ظهر ينادى الراعى ، ولا يأخذنك العجب لوقوع هذه الأحداث ، فكل صعب يهون إذا عرف أمره . فناد جلادك وأطح برأس برناردين . وإنى لذاهب من فورى لأعده للموت وأهديه إلى حياة هى خير وأبقى . على أنك لازلت على عجبك ، ولكن هذا من شأنه أن يقضى على شكوكك قضاء مبرماً . هيا بنا فقد أوشك الفجر أن يطلع .

(يخرجان)

المشهد الثالث

حجرة أخرى فى السجن

(يدخل يومبى)

يومبى : إنى لمعروف هنا حق المعرفة كما كنت معروفاً فى البيت الذى كنا نمارس فيه مهنتنا ، حتى لأحسب أننى فى دار السيدة أوفردن نفسها ، ذلك أننى أرى هنا كثيراً من زبائنها الأقدمين ، أرى أولاً السيد الشاب الطائش الذى حلّ فى السجن ، لأنه عجز عن الوفاء بسلعة من الورق الأسمر(٣) والزنجبيل الفاسد ثمنها سبعة وتسعون ومائة جنيه لم يقبض منه إلا ثلاثة جنيهات وستة شلنات وثمانية بنسات . والحق إن الزنجبيل لم يكن بضاعة رائجة لأن المنية كانت قد أدركت النسوة العجائز جميعاً . وأرى أيضاً السيد المرح الذى أُلقى به فى السجن على إثر دعوى أقامها عليه تاجر الحرير الغارق فى

---

(٣) يرى بعض النقاد أن عبارة brown paper يمكن أن تستبدل بها عبارة black peper أى الفلفل الأسمر . ولكن أغلب النقاد يفسرون هذه العبارة على ضوء القانون الذى كان قائماً فى ذلك العهد والذى كان يحدد الفائدة على القروض بعشرة فى المائة . وقد درج الدائنون على التحايل على هذا القانون فكانوا يلزمون المقترض بألا يكتفى بأن يأخذ القرض نقداً ، بل يشترى إلى جانبه بضاعة لا قيمة لها كالورق الأسمر والزنجبيل وغير ذلك .

المخمل النفيس وفاءً لثمن أربع حلل أو نحوها من الأطلس الخوخي اللون ، وهو الآن يقاضيه على فقره واستجدائه . وأرى السيد الأحمق الشاب ، والسيد العاشق الحديث السن ، والسيد المتكبر ، والسيد الخادم الجائع رب السيف والخنجر ، وأرى الشاب المبذر الذى قتل الرجل البدين القوى ، والسيد المقدام المناجز ، والسيد الجوّاب الجرىء ، والرحالة العظيم ، والسيد القصير الهمجى الذى طعن القدور ، بل إنى لأظن أنه يوجد عدا هؤلاء أربعون شخصاً آخرون كلهم من كبار زبائننا ، وقد أضحوا الآن يتسولون ويقولون «لله»[٤] !

(يدخل أبهورسن)

أبهورسن : إيه يا هذا ، ائت ببرناردين إلى هنا .

پومپى : (يفتح الباب المؤدى إلى غرف المساجين) يا سيد برناردين لقد حق عليك أن تنهض لتشنق يا سيد برناردين !

أبهورسن : أنت يا برناردين !

برناردين : (من الداخل) ألا فلتغص حلوقكم بالطاعون ! من أولاء الذين يضوضئون هناك ؟ ومن أنتم ؟

پومپى : أصدقاؤك يا سيدى — الجلاد . فهلا تفضلت يا سيدى ونهضت لتقتل .

(٤) كانت هذه صرخة المدينين وهم فى السجن يسألون المارة الصدقات .

برناردين : إليك عنى أيها الوغد ، إليك عنى ! فإن الكرى يأخذ بمعاقد أجفانى .

أبهورسن : قل له إن عليه أن يستيقظ ، وأن يستيقظ سريعاً .

پومپى : أتوسل إليك يا سيد برناردين أن تستيقظ حتى تعدم ثم نم بعد ذلك .

أبهورسن : اذهب إليه وائت به .

پومپى : إنه قادم يا سيدى ، إنه قادم ، وإنى لأسمع حفيف قش فراشه .

(يدخل برناردين وهو يترنح)

أبهورسن : هل البلطة على النطع يا هذا ؟

پومپى : إنها على أتم استعداد يا سيدى .

برناردين : (وهو يربت على كتفه) كيف حالك يا أبهورسن ؟ وما وراءك ؟

أبهورسن : تالله يا سيدى إنى لأرجو أن تعمد إلى الصلاة ، فهاك الأمر قد أتى .

برناردين : أيها الوغد ، لقد قضيت الليل بطوله فى الشراب ولست مستعداً لما تقول .

پومپى : عجباً يا سيدى ! هذا خير لك ! فإن من يشرب طول ليله ثم يشنق فى الصباح الباكر لخليق بأن يستغرق فى النوم سحابة اليوم التالى .

(يدخل الدوق متخفياً)

أبيورسن : انظر يا سيدى ، هاهوذا أبوك المقدس قد أقبل . أو تظن أننا لا تزال نمزح ؟

الدوق : بلغنى يا سيدى أنك مزمع الرحيل على عجل ، فأتيت إليك مدفوعاً بعاطفة البر لأعظك وأنزل السكينة على قلبك وأصلّى معك .

برناردين : أيها الراهب ما أنا براحل ، فقد أدمنت الشراب طول الليل ، ولا بد لى من فسحة من الوقت أتهيأ فيها للرحيل وإلا حطموا رأسى بالهراوات . وما من شك فى أننى لن أرضى بالموت اليوم .

الدوق : عجباً يا سيدى ، لا مناص من موتك ، فأرجوك أن تتهيأ للرحلة التى أنت مقدم عليها .

برناردين : إنى لأقسم أننى لن أموت اليوم ، وهيهات أن يستميلنى إلى ذلك أحد .

الدوق : ولكن اسمع . .

برناردين : ولا كلمة ، وإذا كان لديك ما تقوله لى فتعال إلى غرفتى فلن أبارحها فى يومى .

(ينصرف) — (يدخل الحافظ)

الدوق : لا يصلح للحياة ولا للموت . يالقلب قدّ من صخر ! عليكما به يا صاحبىّ . وائتيا به إلى النطع .

(أبيورسن وبومبى يتبعان برناردين)

المحافظ : وبعد يا سيدى فكيف وجدت السجين؟

الدوق : مخلوق لم يتهيأ للموت ولا هو يصلح له ، وحرام أن نبعث به إلى العالم الآخر بالحالة النفسية التى هو عليها الآن .

المحافظ : لقد حدث هنا فى السجن يا أبت أن قضت حمى شديدة على رجل يدعى راجوزين ، وهو قرصان بلغ الغاية فى سوء السمعة وسنه فى مثل سن كلوديو ، ولون شعره ولحيته كشعره ولحيته سواء بسواء فماذا علينا لو تغاضينا عن هذا الشقى حتى تتهيأ نفسه تماماً للقاء الموت وأرضينا نائب الحاكم فحملنا إليه وجه راجوزين وهو أكثر شبهاً بوجه كلوديو؟

الدوق : تالله إنها عناية السماء قد ساقت لنا هذا الحادث ، فابعث برأسه من فورك ، فإن الأجل الذى ضربه أنجلو بات قريباً . اعمل على تنفيذ ذلك وابعث بالرأس إليه امتثالاً للأمر الصادر إليك ريثما أقنع هذا الجلف التعس بلقاء الموت راضى النفس .

المحافظ : سيتم ذلك أيها الأب الصالح على الفور ، على أن برناردين يجب أن يعدم بعد ظهر اليوم . وماذا نفعل لنبقى على كلوديو بحيث أتجنب الخطر الذى قد أتعرض له لو ذاع أمر وجوده على قيد الحياة؟

الدوق : افعل هذا الذى أقوله لك ! ضع برناردين وكلوديو جميعاً فى غرفتين خفيتين ولسوف تتبين سلامتك قبل أن تدور الشمس

دورتين من دورانها اليومي الذى تحيّى به أهل النصف الآخر من الكرة الأرضية .

المحافظ : إننى خادمك المطيع .

الدوق : هلم وعجل بإرسال الرأس إلى أنجلو

(ينصرف المحافظ ويجلس الدوق إلى منضدة ويكتب)

سأكتب الآن رسائل إلى أنجلو يحملها المحافظ معه ، وسينبئه فحواها بأننى قريب من الديار وأن ثمة بواعث قوية تحملنى على دخول المدينة جهاراً . وسأفصح له عن رغبتى فى أن يلقانى عند النبع المقدس على مسيرة فرسخ إلى الجنوب من المدينة ، ومن ثم نتولى أمره برفق وروية مع المحافظة على المظاهر .

(يعود المحافظ حاملا سلة)

المحافظ : هاك الرأس ، وسأحمله بنفسى .

الدوق : حسن تفعل ، وعجّل بالعودة ، فإنى أود أن أفضى إليك بأمور لا ينبغى أن يسمعها سواك

المحافظ : سأعجل ما وسعنى الجهد .

(ينصرف)

(صوت من الداخل) ألا فليحل السلام فى هذا المكان !

الدوق : إنه صوت إيزابلا ، وقد جاءت لتتبين هل وصل أمر العفو عن أخيها إلى هنا . ولكننى سأخفى عنها الأمر الذى فيه سعادتها

حتّى ينزل على قلبها الخبر بعد يأس برداً وسلاماً وهى أبعد ما تكون عن توقعه .

(يستمر فى الكتابة)

(تفتح إيزابلا الباب وتدخل)

إيزابلا : إيه يا سيدى ، سألتك المعذرة !

الدوق : صُبِّحت بالخير يا ابنتى المليحة الكريمة .

إيزابلا : أنعم به من صباح يتمناه لى رجل فى مثل قداستك ، ترى هل بعث نائب الحاكم بأمر العفو عن أخى ؟

الدوق : لقد أراحه يا إيزابلا من هذا العالم ، فقد أطيح برأسه وحمل إلى أنجلو .

إيزابلا : حاشا لله ، ولعل الأمر خلاف ما تقول .

الدوق : بل هو ما أقول بلا خلاف ، فأظهرى حكمتك يا ابنتى بالصبر والجلد الشديد .

إيزابلا : أواه ، إنى لذاهبة إليه لأنتزع منه عينيه ،

الدوق : لن يسمح لك بالمثول أمام ناظريه .

إيزابلا : ما أتعسك يا كلوديو ! وما أشقاك يا إيزابلا ! وما أظلمك يا دنيا ! وما ألعنك يا أنجلو !

الدوق : ليس هذا بضاره شيئاً ، ولا هو عائد عليك بأية منفعة فكفى عما أنت فيه إذن ، وأسلمى أمرك لله ، وخذى عنى ما أقول ، وستلمسين الصدق فى كل حرف من كلامى ! إن الدوق

سيعود غداً إلى الوطن ، أجل سيعود ، فكفكفى دمعك ، وقد أنبأنى بخبر عودته أحد رهبان طائفتى ، وهو القس الذى يعترف الدوق بين يديه ، وقد بلغ هذا الخبر إلى إسكالس وأنجلو ، وهما يتأهبان للقائه عند باب المدينة ليسلماه مقاليد الحكم الذى وكّلهما به . فإن استطعت أن تلزمى جانب الحكمة وتسيرى فى ذلك الطريق القويم الذى أود لك أن تسلكيه فافعلى ، ولسوف تشفين نفسك من هذا الشقى وتنالين رضا الدوق ، وتروين غليل انتقامك . وتردّين شرفك أمام الناس .

إيزابلا : لقد أسلمت زمام أمرى إليك .

الدوق : فلتحملى إذن هذه الرسالة إلى الراهب بطرس فإنه هو الذى بعث إلىّ ينبئنى بعودة الدوق . وقولى له مستشهدة بهذه الأمارة ، بأننى ملاقيه فى منزل ماريانا الليلة ، وسأطلعه على قضيتك وقضية ماريانا جملة وتفصيلاً ، وهو الذى سيدبر لك أمر المثول بين يدى الدوق لتصبى على رأس أنجلو التهم وتضيّق عليه الخناق . أما عن شخصى الضعيف فإنى مرتبط بعهد مقدس ولن أحضر مجلسه . فامض بهذا الخطاب واحبسى دموع الغيظ التى تنهمر من عينيك بقلب خال من الهموم والأفكار . ولتفقدى الثقة بالرهينة المقدسة التى أنتمى إليها إذا أنا أضللتك عن طريقك — من القادم ؟

(يدخل لوشيو)

لوشيو : طاب مساؤك أيها الراهب ، أين المحافظ ؟

الدوق : ليس هنا يا سيدى .

لوشيو : إيه أيتها المليحة إيزابلا ، إن قلبي لينفطر إذ أرى عينيك يعلوهما كل هذا الاحمرار . ألا فلتتجملى بالصبر ، وإنى لأقنع من غدائى وعشائى بالماء والنخالة خشية أن يلتهب رأسى إذا امتلأت معدتى ، وإن أكلة واحدة طيبة لخليقة بأن تخرجنى عن وعيي . على أنهم يقولون إن الدوق سيعود غداً . تالله يا إيزابلا إنى كنت أحب أخاك . ولوكان الدوق الغريب الأطوار حاضراً ، وهو الذى ألف أن يلوذ بالأركان المظلمة ، لكتبت لأخيك الحياة .

(إيزابلا تنصرف)

الدوق : إن أقوالك يا سيدى لا تنطبق على الدوق إلا فى القليل الذى لا يؤبه له ، بل إنه لحسن الحظ برىء مما تنعته به من صفات .

لوشيو : إنك أيها الراهب لا تعرف الدوق عن ثقة كما أعرفه أنا ، فهو أطول باعاً فى الصيد والقنص مما تحسب .

الدوق : على رسلك ، وستسأل عن ذلك يوماً . أستودعك الله .

(يهم بالانصراف)

لوشيو : لا بل انتظر ، فإننى سأمضى معك ، وفى وسعى أن أقص عليك نوادر لطيفة عن الدوق .

الدوق : لقد رويت لى منها أكثر مما ينبغى يا سيدى إن صحت ، فإن لم تصح فلن تبلغ الكفاية مهما رويت .

لوشيو : لقد مثلت بين يديه يوماً لأن فتاة حملت منى .

الدوق : أوفعلت هذا ؟

لوشيو : أى والله فعلته ، ولكن الظروف حملتنى على الإنكار ، ولولا إنكارى لزوجونى هذه الفاكهة العفنة .

الدوق : إن صحبتك يا سيدى فيها من المتعة أكثر مما فيها من الإخلاص والأمانة فالسلام عليكم .

(يفتح الباب)

لوشيو : تالله لأمضين معك إلى آخر الزقاق ، وإذا كان حديث الفجور يؤذى شعورك فلنتخفف منه ونكتفى بأقل القليل . أجل إنى رجل ثرثار وسيظل هذا وكدى وديدنى .

المشهد الرابع

غرفة فى منزل اللورد أنجلو

(أنجلو وإسكالس)

إسكالس : إن كل كتاب كتبه ينقض غيره .

أنجلو : إنه يكتب بطريقة تنمّ عن شدة الاضطراب وشرود الذهن ، كما أن أفعاله تدلّ على ما يشبه الخبل . أسأل الله ألا يكون عقله قد أصابته لوثة ! وما الحكمة فى أن نلقاه عند أبواب المدينة ، ونرد إليه مقاليد الحكم هناك ؟

إسكالس : لست أدرى .

أنجلو : وكيف يقتضينا أن نعلن قبل دخوله المدينة بساعة أن كل من يريد أن يمحو ظلماً ألم به فعليه أن يرفع التماسه فى الطريق ؟

إسكالس : إنه يعلل ذلك بقوله إن هذا الإجراء من شأنه التعجيل برفع الشكاوى وحمايتنا مما قد يدبّر لنا من مكائد فيما بعد ، ويجرّد الكائدين من الحجج التى تنهض ضدنا .

أنجلو : إذن أرجوك أن تعلن هذا فى الصباح الباكر ، وسأزورك فى بيتك وأخطر وجوه القوم والأعيان ممن يقتضى الأمر أن يكونوا فى استقباله .

إسكالس : سأفعل يا سيدى وأستودعك الله .

أنجلو : طابت ليلتك

(ينصرف إسكالس)

إن هذه الفعلة قد غيرت حالى كل التغيير فسلبتنى القدرة على أى عمل وزهدت فى كل أمر من الأمور. فتاة تفض بكارتها ! ويرتكب ذلك رجل عظيم وكّل بإنفاذ القانون فيمن يقترف هذا الإثم ! ترى ماذا كانت تقول فى حق لولا حياؤها الذى يمنعها أن تعلن أن عفتها قد ثلمت. على أن مقتضيات الحكمة تجعلها لا تجرؤ على الإفصاح ، ذلك أن سلطانى يكسبنى هيبة عظيمة لا يمكن أن تنال منها يوماً أية فضيحة ، بل إن هذه الهيبة لخليقة بأن تلجم من يطلق لسانه فىّ. لقد كان من الواجب أن يظل على قيد الحياة ، لولا أن سورة شبابه مقترفة بهذا الباعث الخطير كانت حرّية بأن تدفعه فى يوم من الأيام إلى أن يثأر للحياة الشائنة التى فرضت عليه والتى افتداها بالخزى والعار. ومع ذلك فليته عاش ! واآسفاه ! فإننا إذا نسينا فضائلنا مرة التوى علينا الأمر كله وتأرجحنا بين الخير والشر.

(يخرج)

المشهد الخامس

نبع مقدس على مسيرة فرسخ من المدينة

(الدوق وقد أسفر من بعد تخفيه وأرتدى لباسه الأول ثم الراهب بطرس)

الدوق : (يناول الراهب بعض الأوراق) سلمنى هذه الرسائل[٥] فى الوقت المناسب إن المحافظ يعلم غرضنا وخطتنا. أما ونحن بسبيل إنفاذ ما دبرنا . فالزم ما أشرنا عليك باتباعه ، ولا تحد قط عن خطتنا وإن كان فى مقدورك أن تعدل عن أمر أو آخر فى تفاصيلها بحسب ما تمليه عليك الظروف. امض إلى بيت فلاڤيوس ، وأنبئه بمكان إقامتى ، وافعل مثل ذلك مع ڤالنتيوس ، ورولاند ، وكراسوس ، وقل لهم أن يأتوا بالنافخين فى الأبواق إلى الباب ، وابعث إلىّ بفلاڤيوس أولا .

الراهب بطرس : سأبادر إلى قضاء ما وكلت إلىّ على خير وجه .

(ينصرف) – (يدخل ڤاريوس)

الدوق : شكراً لك يا ڤاريوس ، فقد أظهرت سرعة محمودة هيا بنا

---

(٥) يلاحظ أن بطرس لم يسلم هذه الرسائل إلى الدوق قط ، وإنما روى قصته من غير أن يبرز تلك الوثائق المثبتة لشخصيته ، وكأنما نسى الشاعر الحيلة التى دبرها .

ولنمض على الأقدام . . فإن بعض أصدقائنا الآخرين سيقبلون
للترحيب بنا هنا يا عزيزى ڤاريوس

(ينصرفان)

المشهد السادس

(إيزابلا وماريانا)

إيزابلا : إن نفسى لتعاف اللف والدوران فى الحديث على هذه الصورة ، ولسوف أقول الحق ، أما اتهامه بتلك التهمة فأمر موكول إليك . على أنه نصحنى بأن أفعل لأخفى عنه ، على حد قوله ، ما دبر من خطة كاملة .

ماريانا : فلتهتدى بهديه .

إيزابلا : ثم إنه قال لى إنه لو اتفق ونال منى أمام خصمى فليس لى أن أعجب من ذلك ، فهو دواء مر ولكن عاقبته خير .

ماريانا : وددت لو أن الراهب بطرس . .

إيزابلا : صه ! فإن الراهب قد أقبل .

(يدخل الراهب بطرس) .

الراهب بطرس : هيا بنا ، فقد وجدت لكما مكاناً صالحًا كل الصلاحية ، تطلان منه على الدوق بحيث لا يخطئكما ، لقد دوت الأبواق مرتين ، وهرع خير النبلاء والأعيان إلى الأبواب ، ولن يلبث الدوق أن يدخل المدينة . فهيا بنا ، وعجلا .

(ينصرفون مهرولين)

الفصل الخامس

المشهد الأول

مكان عام خارج أبواب المدينة ، جمهور من المواطنين

(أنجلو وإسكالس ومعهم المحافظ والضباط متأهبون لاستقبال الدوق ، لوشيو بالقرب منهم ، إيزابلا وماريانا محجبتان ومعهما بطرس وقد لزموا مكانهم ، يقترب الدوق ومعه فاريوس وغيره من الضباط)

الدوق : مرحى يا ابن العم الأجل ! وأنت يا صديقنا القديم الأمين ، إنه لتسرنا رؤيتك .

أنجلو وإسكالس : نحمد الله على سلامتكم يا صاحب السمو !

الدوق : أشكركما شكراً جزيلاً من صميم القلب ، لقد كنا نسأل عنكما فسمعنا الثناء المستطاب على عدلكما حتى أنه لا يسعنا إلا أن نزجى لكما الشكر علناً وهو شكر له ما وراءه من جزاء .

أنجلو : إنكم لتضاعفون الدَّين الذى فى عنقى لكم .

الدوق : حسبك ، فإن فضلك ليفصح عن نفسه بأجلى بيان ، وإنى لأسيء إلى هذا الفضل إذا أنا حبسته فى مكنون صدرى ، وهو جدير بأن ينقش بحروف من نحاس وأن يودع فى مكان عزيز يقيه شر الزمن وعوادى النسيان . هات يدك وليرى الملأ هذا حتى يعلموا أن المجالات العلنية خليقة بأن تفصح عن

أفضال أسرّها فى قلبي ، تعال يا إسكالس وسر إلى جانبنا الآخر ، فإن كلاكما نعم المعين .

(يتقدم الراهب بطرس وإيزابلا)

الراهب بطرس : الآن قد حانت فرصتك ، فارفعي صوتك واركعي بين يديه .

إيزابلا : ناشدتك العدل يا صاحب السمو الدوق ! اشمل بنظرك مظلومة ، وقد كنت أود أن أقول عذراء ! إيه أيها الأمير الجليل ، صن عينيك عن النظر فى أى أمر حتّى تسمع شكواى الصادقة وتنصفنى ، فالإنصاف ، الإنصاف ، الإنصاف !

الدوق : قصّى علينا مظلمتك ، وفيم ظُلمت ، ومن ظلمك ؟ أوجزى ، وهاهوذا اللورد أنجلو منصفك ، فاكشفى له عن ذات نفسك .

إيزابلا : إيه أيها الدوق الجليل ، إنك لتدعونى إلى طلب النصفة من الشيطان ، فاستمع إلى أنت نفسك فإما عاقبتنى على ما وجب على أن أقوله ، إذا أنكرته ، وأما حق عليك أن ترفع عنى ظلمى . فاستمع إلى ، بالله استمع إلى فى هذه الساحة !

أنجلو : مولاى ، إنى لأخشى أن يكون بعقلها خبال ، فإنها كانت قد سعت إلىّ تلتمس الإبقاء على حياة أخيها الذى أعدم بحكم من القضاء . . .

إيزابلا : بحكم من القضاء !

أنجلو : وستتحدث بحديث غاية فى العجب ، يفصح عن شدة المرارة والضغينة .

إيزابلا : أجل ، سأتحدث بحديث غاية فى العجب ، ولكنه غاية فى الصدق فأقول إن أنجلو حانث بيمينه ، أليس هذا بعجيب ؟ وإن أنجلو قاتل ، أليس هذا بعجيب ؟ وإن أنجلو لص فاسق ، ومنافق يسطو على أعراض العذارى ، أليس هذا بعجيب ، وعجيب ؟

الدوق : أجل إنه لعجيب ، جد عجيب !

إيزابلا : إن القول بأن أنجلو هو أنجلو بعينه لا يزيد نصيبه من الصدق عما تتسم به أقوالى جميعاً من حق وغرابة أجل إنها الحق الذى لا يعلى عليه ، والحق هو الحق ما بقيت هذه الدنيا .

الدوق : خذوها ! يا للمسكينة ، إنها تقول هذا القول عن لوثة أصابت عقلها .

إيزابلا : إيه أيها الأمير ، إنى لأستحلفك بحق إيمانك بوجود حياة غير هذه الحياة ، ألا تتخلى عنى بحجة أن عقلى قد أصابته لوثة ! ألا تقولن إن هذا الذى يبدو بعيد الاحتمال أمر مستحيل الحدوث . فليس من المستحيل أن يبدو رجل هو أخبث الماكرين على ظهر الأرض فى مثل حياء أنجلو ورصانته وعدله وكماله . بل إن أنجلو هذا قد يكون وغداً زنيماً على الرغم من كل ما يتوفر له من جلال المنصب وما يعرف عنه من

خصال ، وما ينعم به من ألقاب وتشريف ، صدقنى يا صاحب السمو الأمير ، فلو أنه كان دون ما صورت لما كان ثمة شيء يشينه ، ولكنه خليق بأكثر مما قلت ، وهيهات أن يسعفنى اللفظ فأصف الشر بأكثر مما وصفت .

الدوق : قسماً بشرفى لو أنها مجنونة ، ولا أخالها إلا كذلك ، فإن جنونها يبدو فى أغرب صورة من صور الفهم والإدراك فهى ترتب الشيء على الشيء بما لم أسمع بمثله فى الجنون قط .

إيزابلا : أيها الدوق الكريم ، دعك من هذه النغمة ولا تجعل علو مركزه يميل بك عن شرعة الإنصاف بل اتخذ من عقلك سبيلاً إلى جلاء الحق الذى يبدو خافياً واقض على الباطل الذى يلبس ثوب الحق .

الدوق : إن كثيراً من العقلاء ليفتقرون حقاً إلى مثل هذه الرجاحة فى العقل – ما قولك ؟

إيزابلا : إننى أخت رجل يدعى كلوديو حكم عليه بالإعدام عملاً بقانون الزنا والذى قضى فى أمره هو أنجلو ، وقد أوفدنى أخى إليه ولمّا أتجاوز طور الاختبار فى الرهبنة وكان رسول كلوديو إلى رجلاً يدعى لوشيو .

لوشيو : (مندفعاً إلى الأمام) عفوك يا مولاى ، إنه أنا ، وقد جئتها موفداً من قبل كلوديو وسألتها أن تسعى لديه سعيها الحميد حتّى يعفو عن أخيها المسكين .

إيزابلا : إنه هو حقًّا .

الدوق : لم يؤذن لك بالكلام .

لوشيو : أجل يا مولاى الكريم ، ولا أمرنى أحد بأن ألزم الصمت .

الدوق : إذن فإنى آمرك الآن بأن تلزمه ، وأرجوك أن تراعى ذلك ، فإذا كان لك شأن خاص بك ، ناشدتك الله أن تلزم حدود الكمال .

لوشيو : إنى أعاهد فخامتكم على ذلك .

الدوق : إن العهد موكّل بك ، فصنه .

إيزابلا : لقد روى هذا السيد طرفاً من قصتى .

لوشيو : هذا صحيح

الدوق : قد يكون هذا صحيحاً ، ولكنك أخطأت بالكلام قبل أن يجىء دورك — استمرى .

إيزابلا : لقد قصدت هذا النائب الدنىء المفسد .

الدوق : هذا قول فيه حمق وشطط .

إيزابلا : اغفر لى ذلك فإن عبارتى تناسب الحال .

الدوق : أقول لك مرة أخرى : إلزمى حدود الأدب . ولتدخلى فى صميم الموضوع ، استأنفى حديثك .

إيزابلا : إنى إذ أوجز القول وأدع التفصيلات التى لا يقتضيها المقام ، وأمرّ مر الكرام بما جرى ، وكيف حاولت إقناعه ، وكيف ابتهلت إليه وركعت بين يديه ، وكيف ردّنى ، وكيف أجبته

مما يطول شرحه ، ولأبدأ بالخاتمة الدنيئة لقصتى شاعرة بالأسى والخزى فى الإفصاح عنها ، لقد أبى أن يعفو عن أخى إلا إذا بذلت جسمى الطاهر لشهوته البهيمية المنطلقة ، وبعد صراع طويل أشفقت على أخى وتغلبت رحمتى به على شرفى ، فاستسلمت له . ولكنه ما إن لاح صبح اليوم التالى وقضى منى وطره حتى بعث بكتاب يقضى بأن يطاح برأس أخى .

الدوق : هذا جائز جدًّا !

إيزابلا : لهف نفسى ، ليته كان جائزاً بقدر ما هو حق !

الدوق : تالله أيتها الشقية الحمقاء إنك لتهرفين بما لا تعرفين ، أو تسعين إلى النيل من شرفه مدفوعة بمؤامرة دنيئة فهو أولاً رجل أمين شريف لا تشوب صفحته شائبة ، ثم إنه لا يجوز عقلاً أن يسعى بهذه الغيرة التى تسقط عيوب الناس والعيب فيه ولو أنه ارتكب الإثم الذى تؤاخذينه عليه لأتسى بذنبه عن ذنب أخيك ، وأمسك عن الإطاحة برأسه . لقد حرّضك بعض الناس عليه ، فقولى الحق ، وأفصحى عمن أشار عليك بالقدوم إلى هذه الساحة للشكوى منه .

إيزابلا : أو هذا كل ما تأخذوننى به ؟ إذن فرحماك أيتها الملائكة الأطهار فى عليائك ، هبينى الصبر ، وعجلى بكشف النقاب عن الباطل الذى يلبس هنا ثوب الحق – وإنى وقد ظلمت وأبيتم تصديق قولى لأذهب إلى حال سبيلى سائلة الله أن يحفظ

عظمتكم من كل شر !

الدوق : إنى لأعلم بأنك قد عزمت على الرحيل – علينا بضابط !

(يقبض عليها الضابط)

خذوها إلى السجن ! ! أو بلغ بنا الأمر أن ندع سموم هذه الريح من الإفك والبهتان تلفح وجهه على قرب منزلته منا ؟ تالله إنها لمؤامرة . من ذا الذى يعلم بنواياك وقدومك إلى هذه الساحة ؟

إيزابلا : رجل تمنيت أن يكون ماثلاً هنا ، إنه الراهب لودويك

(يبتعد الضابط وإيزابلا بإشارة من الدوق)

الدوق : لعله راهب موهوم ، من يعرف لودويك هذا ؟

لوشيو : مولاى ، أنا أعرفه ، فهو راهب متطفل يتداخل فيما لا يعنيه . وأنا لا أحبه ، ولو أنه كان من غير رجال الدين يا مولاى لضربته ضرباً موجعاً على ما بدر منه من كلام نال به منكم فى غيبتكم .

الدوق : كلام نال به منا ! يا له من راهب صالح ! أو يبلغ من أمره أن يحرض هذه المرأة الشقية الماثلة أمامنا على نائبنا ! ائتونى بهذا الراهب .

لوشيو : لقد رأيتها بالأمس فقط صحبة هذا الراهب فى السجن – إنه راهب وقح ، بل هو غاية فى الخسة والدناءة .

الراهب بطرس : (يتقدم) ألا فليبارككم الله يا صاحب السمو ! لقد كنت

أرقب هذا المشهد يا مولاى ! وبلغ أذنى ما خدش سمع سموكم من كلام بذىء . لقد أخطأت هذه المرأة أشنع الخطأ باتهام نائبكم ، فهو لم يمسسها أو يلوث شرفها ، بل هو برىء من ذلك براءتها هى من ولد لم تنجبه .

الدوق : إن اعتقادنا بذلك ليس أقل من اعتقادك ، أو تعرف ذلك الراهب لودويك الذى تتحدث هى عنه ؟

الراهب بطرس : أعرف عنه أنه رجل صالح تقى نقى ، لا هو بالوقح ولا هو بالمتطفل الذى يدس أنفه فى أمور الدنيا كما قال عنه هذا السيد ، بل هو بشرف رجل لم يذكر فخامتكم بسوء قط كما زعم .

لوشيو : مولاى ، إنه شرير كأقصى ما يكون الشر ، صدقنى .

الراهب بطرس : قل ما تشاء ، فإنه قد يأتى فى الوقت المناسب ليبرئ نفسه ، ولكنه الآن مريض يا مولاى بحمى عجيبة ، وقد بلغه أن ثمة شكوى يراد تقديمها فى حق اللورد أنجلو ، فجئت إلى هنا بناء على رغبته الخاصة لأتحدث بلسانه عما يعلم من الحق ومن الباطل ، وهو يعتزم أن يوضحه بأجلى بيان مقسماً على ذلك بالأيمان ومستشهداً بكل برهان فى أى وقت يسأل فيه . ولنبدأ بهذه المرأة لنداقع عن هذا السيد الجليل الذى اتهم فى شخصه بأحط التهم . وستسمعون أباطيلها وهى تفند فى وجهها حتى تعترف بالحقيقة .

الدوق : أيها الراهب الصالح دعنا نسمع أقوالها .

(تساق إيزابلا محروسة وتتقدم ماريانا) .

ألا يحملك هذا على الابتسام ياللورد أنجلو ؟ يا إلهى من غرور الحمق التعساء ! علينا بمقاعد – هلم يا ابن العم أنجلو ، فإنى لن أشترك فى هذه المحاكمة ، ولتحكم أنت فى قضيتك .

(يأتى الخدم بمقاعد ، ويجلس الدوق ، وتقف ماريانا بجوار الراهب بطرس)

أهذه هى الشاهدة أيها الراهب ؟ فلتكشف أولاً عن وجهها ثم تتكلم .

ماريانا : عفوك يا مولاى ، لن أكشف عن وجهى حتى يأمرنى زوجى .

الدوق : عجباً ، أمتزوجة أنت ؟

ماريانا : لا يامولاى .

الدوق : أعذراء ؟

ماريانا : لا يامولاى

الدوق : إذن فأنت أرملة ؟

ماريانا : ولا أرملة يامولاى .

الدوق : عجباً ، فأنت لا شىء إذن ، لا عذراء ولا أرملة ولا زوجة ؟

لوشيو : لعلها عاهر يا مولاى ، فإن كثيرات منهن لسن عذراوات ، ولا أرامل ، ولا زوجات .

الدوق : أسكتوا هذا الشخص ، ألا ليت له قضية يثرثر بها دفاعاً عن نفسه .

لوشيو : ليكن يا مولاى .

ماريانا : إنى لأعترف يا مولاى بأننى لم أتزوج أبداً ، كما أعترف فوق هذا بأننى لست عذراء . ولقد عرفت زوجى ، إلا أنه لا يدرى قط أنه عرفنى .

لوشيو : إذن ، فقد كان ثملاً يا مولاى ، ولا يمكن أن يكون غير هذا .

الدوق : ليتك كنت ثملاً أيضاً حتى ننعم بسكوتك !

لوشيو : الأمر أمرك يا مولاى .

الدوق : لا يصح أن تشهد هذه على لورد أنجلو

ماريانا : سأكشف لك الآن عن سر الأمر يا مولاى . إن المرأة التى تتهمه بالزنا إنما تتهم زوجى باتهامها هذا ، والوقت الذى قالت إنه اقترف فيه فعلته هذه هو على ما أؤكده لك يا مولاى الوقت الذى كان فيه بين أحضانى يبثنى لواعج حبه .

أنجلو : ترى أتتهم بذلك شخصاً سواى ؟

ماريانا : هذا ما لا أعرفه .

الدوق : حقًّا ؟ ولكنك تحدثت عن زوجك .

ماريانا : عجباً ، إن ما قلته هو الحق يا مولاى ، ومن تحدثت عنه هو زوجى الذى وهم الذى يظن أنه ليس له عهد بجسدى قط وإن الجسد الذى خبره هو جسد إيزابلا

أنجلو : إن هذا لخداع عجيب – دعينا نرى وجهك .

ماريانا : لقد أذن زوجى ، فلأسفرن (تسفر عن وجهها) هذا هو الوجه الذى أقسمت يوماً أيها القاسى أنجلو بأنه جدير بأن تتملى به ، وهذه هى اليد التى وضعتها فى يدك واستمسكت بها وقطعت على نفسك العهد والميثاق . وهذا هو الجسد الذى أحلّ إيزابلا من وعدها ووافاك فى بيتك الخلوى وأشبع رغبتك فى شخصها الموهوم .

الدوق : أتعرف هذه المرأة ؟

لوشيو : بالجسد على حد قولها .

الدوق . حسبك أيها الغر !

لوشيو : حسبى يا مولاى .

أنجلو : مولاى ، أرى لزاماً على الإقرار بأننى أعرفها . فقد دار حديث بينى وبينها عن الزواج منذ خمس سنوات ، إلا أن العقد فسخ ، وبعض السبب فى ذلك راجع إلى أن البائنة التى وعدتنى بها جاءت دون ما اتفقنا عليه . أما السبب الجوهرى فهو أن سمعتها قد شابتها شبهة من خفة وطيش ، وإنى لأقسم بدينى وشرفى أننى ما تحدثت إليها قط أو رأيتها أو تحدثت إلىّ منذ خمس سنوات خلت .

ماريانا : (تجثو) أيها الأمير الكريم ، كما أن النور ينبعث من السماء

والألفاظ تخرج مع الأنفاس وكما أن فى الحقيقة معانى وفى الفضيلة حقائق ، فكذلك أنا زوجة هذا الرجل بقدر ما تستطيع الكلمات أن تعبر بأفصح بيان عن العهود والمواثيق . وقد عرفنى زوجة له يا مولاى الكريم فى ليلة جد قريبة هى ليلة الثلاثاء الماضى ، وكان ذلك فى بيته الخلوى ، فإن كان ما قلته هو الحق فإنى أسأله الله أن يهبنى القدرة على النهوض سالمة من ركعتى ، وإلا فليضرب على الجمود فى هذا المكان لا أريم عنه قط ، كأننى تمثال من المرمر .

أنجلو : إننى لم أزد بعد على الابتسام ، والآن يا مولاى الكريم اجعل لى ولاية القضاء ، فقد نفذ صبرى مما سمعته هنا . وإنى لأشعر أن هاتين المرأتين المسكينتين الملتاثتين هما ليستا إلا أداتان سلطهما علىّ شخص أقوى منهما بأساً وأشد سلطاناً . فاسمح لى يا مولاى أن ألتمس السبيل إلى الكشف عن هذه المؤامرة .

الدوق : (ينهض) أى نعم ومن كل قلبى ، وعاقبهما بما يشفى منية نفسك وأنت أيها الراهب الأحمق ، وأنت أيتها المرأة الشريرة يا من تآمرتما مع تلك التى غادرت مجلسنا ، أتظنان أن أيمانكما وإن استنزلت القديسين من السماء واحداً بعد واحد بقادرة على أن تنتقص من قدره وفضله اللذين ثبتا بالبرهان والدليل ؟ أما أنت يا لورد إسكالس فاجلس مع ابن العم أنجلو وأعنه بجهدك الكريم على الكشف عن هذه المؤامرة ومعرفة مصدرها .

وهناك راهب آخر حرّضهما على ما أقدمتا عليه ، فأرسلوا فى طلبه .

الراهب بطرس : ليته كان هناك يا مولاى ! فإنه هو حقًا الذى حرض المرأتين على هذه الشكوى . ومحافظك يعلم أين يقيم وهو يستطيع أن يأتى به

الدوق : اذهب وائت به فى الحال .

(ينصرف المحافظ)

أما أنت يا ابن العم النبيل الذى أضع فيه كل ثقتى والذى يعنيه أن يسمع هذه الدعوى حتى تبلغ بها النهاية فاقض فيها بما قد يتراءى لك من عقاب يجازى ما لحق بك من ضرّ . وسأترككما إلى حين ، فلا تمضيا حتى تفصلا فى أمر هؤلاء المفترين النمّامين .

إسكالس : سنفعل يا مولاى ونبذل فى ذلك غاية ما فى وسعنا

(ينصرف الدوق ويجلس أنجلو وإسكالس)

يا سيد لوشيو ، أو لم تقل إنك تعلم عن الراهب لودويك أنه رجل بعيد عن الصدق والأمانة ؟

لوشيو : ليس الراهب بقلنسوته ؟ وهو لا عهد له بالصدق والأمانة إلا فى ملابسه ، وقد تقوّل على الدوق ورماه بأخبث الكلام وأسفله .

إسكالس : نرجوك أن تبقى هنا حتى يأتى وتحمله على الاعتراف بتخرصاته

ولسوف نجد أن هذا الراهب رجل له شأنه واعتباره .

لوشيو : كأى فرد من ڤينا بشرف .

إسكالس : علىّ بتلك المرأة نفسها التى تدعى إيزابلا ، فإنى أود أن أتحدث معها . وأرجوك يا مولاى أن تأذن لى بسؤالها وسترى كيف أتصرف معها .

لوشيو : لن تتصرف معها خيراً منه بشهادتها هى .

إسكالس : ماذا تقول ؟

لوشيو : تالله يا سيدى إنى لأحسب أنك لو تصرفت معها على انفراد لبادرت بالاعتراف . إما إذا عالجت أمرها جهاراً فقد تخجل .

إسكالس : سأتولى أمرها فى الخفاء .

لوشيو : هذا هو السبيل ، فإن النساء تخف عقولهن إذا انتصف الليل (يقترب المحافظ ومعه الدوق متخفياً فى مسوح راهب)

إسكالس : تعالى يا سيدتى – فهاك امرأة فاضلة تنكر كل ما قلت .

لوشيو : مولاى ، هاهوذا الوغد الذى تحدثت عنه قد أقبل (يشير إليه) صحبة المحافظ .

إسكالس : لقد جاء فى إبانه ، فلا تتحدث إليه حتى نطلب إليك ذلك .

لوشيو : سألوذ بالصمت .

إسكالس : (إلى الدوق) تعال يا سيدى . هل حرضت هاتين السيدتين على الوشاية فى حق اللورد أنجلو ؟ لقد اعترفتا بأنك فعلت .

الدوق : إنها لفرية

إسكالس : عجباً ! أوتعلم فى أى مكان أنت !

الدوق : إنى لأجل ساحتكم الرحيبة أو لندع الشيطان يوماً يحظى بالاحترام من أجل عرشه الملتهب ! أين الدوق ؟ فإنه هو الذى يجب أن يستمع إلى قولى .

إسكالس : إن الدوق لماثل فى شخصنا ، وسنسمع نحن أقوالك فاحرص على أن تكون منصفاً فيما تقول .

الدوق : بل شجاعاً على الأقل – ولكن ، لهفى عليكما أيتها النفسان المسكينتان أو جئتما تسعيان إلى استخلاص الحمل من براثن الذئب فى هذه الساحة ؟ ألا فلتستودعا الله العدل والإنصاف ! أو قد رحل الدوق ؟ إذن فقد ضاعت قضيتكما أيضاً . إن الدوق قد ظلمكما إذْ تخلى عن مظلمتكما التى رفعتماها إلى ساحته أمام الملأ وعلّق القضاء فيها بكلمة تخرج من فم هذا النذل الذى أتيتما إلى هنا لاتهامه .

لوشيو : هاكم الوغد ، إنه هو الذى حدثتكم عنه .

إسكالس : ما بالك أيها الراهب المحقر الدنس تقول هذا القول ، أو لم يكفك أنك حرضت هاتين المرأتين على اتهام هذا الرجل الجليل حتى تطلق لسانك القذر فيه وتصمه بالنذالة على مسمع منه ؟ ثم تميل عنه إلى الدوق نفسه وترميه بالظلم ؟ – خذوه إذن وقيدوه إلى « المخلعة » ! سنشد مفاصلك مفصلاً مفصلاً . ثم إننا سنعرف خبيثة نفسك .

الدوق : لا تكن ظالماً ! تبًّا لك ! إن الدوق لا يجرؤ على شد إصبعى بأكثر مما يجرؤ على شد إصبعه هو . فإنى لست من رعاياه ولا أنا خاضع للسلطة الدينية فى هذه المدينة . وقد قيضت لى مهمتى فى هذه الولاية أن أقف موقف المشاهد هنا فى ڤينا ، فرأيت الفساد يرغى ويزيد حتّى فاض به المرجل . قوانين تعاقب على الجرائم جميعاً ، وجرائم تلقى من التشجيع ما جعل الشرائع الصارمة تقف كالأسنان المخلوعة تعلق فى حانوت الحلاق للسخرية كما تعلق للفت الأنظار[١] .

إسكالس : تقذف فى حق الدولة ! خذوه إلى السجن !

أنجلو : ما الذى تستطيع أن تشهد به عليه يا سيد لوشيو ؟ أهذا هو الرجل الذى حدثتنا عنه ؟

لوشيو : إنه هو يا مولاى – ادن منى أيها الأصلع الطيب ، أو تعرفنى ؟

الدوق : أذكرك يا سيدى من نبرات صوتك ، لقد قابلتك فى السجن فى أثناء غيبة الدوق

لوشيو : حقًّا . أوتذكر هذا ؟ وهل تذكر ما قلت فى الدوق ؟ .

الدوق : حق الذكر يا سيدى .

---

(١) هكذا تفسرها طبعة كيمبردج ولكن فى إحدى الطبعات الأخرى تقول إن بعض القواعد والقوانين كانت تلف وتعلق فى حوانيت الحلاقين ليطلع عليها روادها الكثيرون . وإن كان أحد من هؤلاء الرواد لا يعنى قط بإطاعتها .

لوشيو : أو حقًا تذكره ؟ وهل كان الدوق قوّاداً ، أحمق ، جباناً كما قلت فيه ؟

الدوق : يجب يا سيدى أن نتبادل شخصينا قبل أن تدعى أننى قلت هذا . لقد قلت أنت حقًا هذا القول فيه بل أكثر من ذلك كثيراً وأفظع .

لوشيو : تبًا لك من ملعون ! أولم آخذ بأنفك جزاء ما قلت ؟

الدوق : إنى لأؤكد أننى أحب الدوق حبى لنفسى .

أنجلو : انظروا كيف يريد الوغد أن يختم كلامه الآن بعد سبابه الذى ينم عن الخيانة !

إسكالس : إن مثل هذا الشخص لا يصح الحديث معه ، خذوه إلى السجن ! أين المحافظ ؟ أحمله إلى السجن ، وأحكم إغلاق الباب عليه ، ولا تدعه يتفوه بكلمة أخرى – وخذ هاتين الفاجرتين أيضاً ، ومعهما شريكهما الآخر فى المؤامرة !

(يضع المحافظ يديه على الدوق)

الدوق : صبراً يا سيدى ، رويدك قليلاً .

أنجلو : عجباً أيقاوم ؟ – عاونه يا لوشيو .

لوشيو : هيا يا سيدى ، هيا يا سيدى ، هيا يا سيدى ، هلم يا صاح ! عجباً أيها الأصلع الوغد الكذّاب ، لابد أنك مقنّع ، أليس كذلك ؟ أكشف عن وجهك النكد قبحك الله ! ألا تريد أن تخلع هذا القناع

(يخلع قناع الراهب فيكشف عن الدوق ، ويهب إسكالس واقفاً ، ويلبث أنجلو فى مقعده وقد تملكه الذهول)

الدوق : إنك لأول وغد جعل منى دوقاً دعنى أيها المحافظ أتكفل بهؤلاء الثلاث الطيبات .

(ثم يوجه الخطاب إلى لوشيو)

لا تنسل يا سيدى إلى الخارج ، فلا مناص من أن يدور بينك وبين الراهب حديث — اقبض عليه

(يقبض على لوشيو) .

لوشيو : قد يسفر هذا عن شىء أسوأ من الشنق .

الدوق : (إلى إسكالس) إنى أغفر لك ما قلت فاجلس وسنستعير مكانه (إلى أنجلو) سيدى فلتأذن لى .

(يجلس فى مكان أنجلو)

هل من كلمة ، أو رأى ، أو صفاقة تستطيع أن تلتمس منها العون ؟ فإن كان لديك منها شىء فاركن إليه حتى تسمع قصتى ولا تلج فى موقفك من بعد

أنجلو : عفوك يا مولاى الجليل إن موقفى ليكون أشد نكراً من ذنبى الذى اقترفته إذا حسبت أن جُرمى يمكن أن يظل خافياً وأنا أدرك أن فخامتكم قد راقبتم فعالى كأنكم القدرة الإلهية . فيا أيها الأمير الكريم اعفونى من جلسة تقام لتشهد خزيى وعارى وحسبكم من محاكمتى قبول اعترافى وكل ما أرجوه من

فضلكم أن تقضوا فىّ قضاءكم وتردفوه بالموت .

الدوق : ادن منى يا مريانا أجبنى ، أولم يعقد لك قط على هذه المرأة ؟

أنجلو : أجل يا مولاى قد عقد

الدوق : إذن خذها وتزوجها فى الحال وقم بمراسم الزواج أيها الراهب ، وعد به إلى هنا بعد انتهائك منها — اذهب معه أيها المحافظ .

(ينصرف أنجلو وماريانا والراهب بطرس والمحافظ)

إسكالس : مولاى ، إن عجبى لو ضاعفته ليفوق عجبى من غرابة ما انحط إليه من ضعة وهوان .

الدوق : إلىّ يا إيزابلا فقد أصبح راهبك أمير أحلامك . وإنى إذ كنت معنياً بقضيتك أميناً عليها لباق على عهدى فى رعاية أمرك ولم يتغير قلبى بتغير ثوبى .

إيزابلا : عفوك يا مولاى ، فقد سخرتك وأنا فرد من أفراد رعيتك ، وأتعبتك ولم أكن أعلم بجليل مقامك وسمو منزلتك !

الدوق : لقد عفونا عنك يا إيزابلا والآن يا فتاتى العزيزة ، فلتعودى إلى سابق عهدك معنا وارفعى الكلفة وإنى لأعلم أن موت أخيك يحز فى نفسك وقد تعجبين من أمر إخفائى شخصيتى سعياً إلى إنقاذ حياته ، وكيف أحجمت عن أن أندفع إلى إظهار صولتى المكنونة وآثرت أن أدعه يموت هذه الميتة يا أكرم الفتيات ، لقد كان موته الباكر العاجل الذى كنت أظن أنه

قد يبطئ عنه أكثر مما تصورت ، هو الذى أوحى إلى بخطتى .
ألا رحمة الله عليه ! إن تلك الحياة التى لا يخشى فيها المرء
الموت لخير من حياة لا تفارقه فيها هذه الخشية ولتكن سعادة
أخيك عزاء لك وسلوى .

إيزابلا : سمعاً وطاعة يا مولاى .

(يعود أنجلو وماريانا والراهب بطرس والمحافظ)

الدوق : لقد حقّ عليك ، إكراماً لماريانا ، أن تصفحى عن هذا
الزوج الحديث العهد المقبل علينا ، وإن كانت أفكاره الدنسة
قد أساءت إلى شرفك الذى أحسنت الدفاع عنه . أما وقد
قضى على أخيك بالموت ، فقد أثم وعليه وزران : انتهاك
حرمة العفة والنكث بالعهد الذى تعلقت به حياة أخيك وإن
الرحمة نفسها التى أباحها القانون لتصرخ بأعلى صوتها ، بل
بلسانه هو ، قائلة «أنجلو بكلوديو ، والنفس بالنفس ! »
والعجلة دائماً تهب عجلة ، والريث يهب ريثاً ، والشىء
بمثله ، ودقة على الدوام بدقة ، أما أنت يا أنجلو وقد تجلى
ذنبك ولن يجديك إنكاره وإن حاولت ، فإننا نحكم عليك
بأن تحمل إلى ذلك النطع نفسه الذى أسلم إليه كلوديو رأسه
مستقبلاً الموت وأن يعجل بك كما عجلت به خذوه !

ماريانا : مولاى الأجل الأكرم أرجو ألا تسخر منى فتهبنى زوجاً
موهوماً .

الدوق : إنه زوجك الذى سخر بك فأعطاك زوجاً موهوماً . لقد حسبت أن الزواج أصلح لك فرضيت به صوناً لشرفك ، وإلا كان فى اتهامك له بأنه عرفك ما يشين حياتك ويقضى على ما ترجينه من خير فى مستقبل أيامك . أما ماله وإن يئول إلينا بالمصادرة فإنا نهبه لك ونجعل لك فيه حق الأرملة يموت عنها زوجها حتى توفق إلى زوج أفضل منه .

ماريانا : يا مولاى العزيز إن نفسى لا تتوق إلى غيره ، ولا إلى من هو أفضل منه .

الدوق : ارجعى عنه بتاتاً ، فإن حكمنا لا معقب له .

ماريانا : يا مولاى الرحيم (تركع)

الدوق : إنما تبذلين الجهد فيما لا طائل تحته خذوه إلى حتفه !

(ثم يوجه الحديث إلى لوشيو) .

والآن يا سيدى لقد جاء دورك .

ماريانا : مولاى الكريم ! – أيتها العزيزة إيزابلا ضمى صوتك إلىّ هيبى ركبتيك فأهب حياتى كلها ما بقى لى من عمر فى سبيل خدمتك .

الدوق : إنك تلحفين عليها فى الرجاء مخالفة كل ما يقضى به العقل والوجدان ولو أنها جثت طالبة الرحمة فى هذا الجرم ، لقام طيف أخيها من مرقده المسجى وملأها رعباً وفزعاً

ماريانا : إيزابلا ، يا إيزابلا العزيزة ، إنى لا أطلب إليك إلا أن تركعى

بجوارى وترفعى يديك ، ولا تقولى شيئاً ، وسأتولى
أنا الحديث كله وقد قيل إن خير الناس هم أولئك الذين
صهرتهم الذنوب وأن معظمهم يزدادون فضلاً ، لما كان فيهم
من السوء القليل وهكذا قد يكون شأن زوجي بالله يا إيزابلا
هلا وهبتنى إحدى ركبتيك ؟

الدوق : ليقتلن جزاء له على قتل كلوديو .

إيزابلا : (تركع) مولاى الأعز الأكرم هلا تفضلت فنظرت إلى هذا
الرجل الذى قضيت فيه قضاءك كما لو كان أخى حيًّا يرزق .
فإنى أظن بعض الظن أن أفعاله كان يهيمن عليها ماحق عليه
من أمانة وإخلاص حتى وقع نظره على . أما وهذا شأنه
فلا تقضى بموته . فإن أخى إنما نال جزاءه الوفاق على فعلة
استحق من أجلها الموت . أما أنجلو فإن فعلته لم تحقق ما أضمر
من سوء النية ، ومن ثم وجب أن توارى على أنها نية فحسب
لقيت حتفها وهى بعد فى سبيل التحقيق فالأفكار ليست فعالاً
وما النيات إلا أفكار

ماريانا : حقًّا يا مولاى ، إنها لا تعدو ذلك .

الدوق : إن قضيتك خاسرة وإنى لآمرك بأن تنهضى لقد اتجه تفكيرى
إلى جرم آخر أيها المحافظ ، كيف حدث أنكم أطحتم برأس
كلوديو فى وقت لم يجر به العرف ؟

المحافظ : لقد صدر الأمر إلىّ بذلك .

الدوق : هل كان لديك أمر معين شرعى يطلب إليك أن تفعل هذا الفعل ؟

المحافظ : لا يا مولاى الكريم ، لقد كان ذلك بناءً على رسالة خاصة .

الدوق : ومن أجل ذلك أعفيك من منصبك ، سلم مفاتيحك .

المحافظ : اغفر لى يا مولاى النبيل لقد دار بخلدى أن ما فعلت كان خطأ ، ولكننى لم أ ّذن موقناً من ذلك ، على أننى ندمت عليه بعد روية وتفكير والدليل على ذلك أننى أبقيت على حياة نزيل آخر من نزلاء السجن كان يجب أن يعدم بمقتضى ذلك الأمر الخاص .

الدوق : ومن يكون ؟

المحافظ : اسمه بارناردين

الدوق : ليتك فعلت هذا مع كلوديو اذهب واتنى به ودعنى أره

(يخرج المحافظ)

إسكالس : إنى لآسف يا لورد أنجلو أن يزل رجل بلغ من العلم والحكمة ما لم يبلغه أحد حتى اليوم ، هذه الزلة الخطيرة من سورة الشباب أو ما أعقب ذلك من قضاء اتسم بالرعونة والشطط .

أنجلو : وإنى لآسف إذ تسببت فى هذا الأسى الذى تغلغل فى أعماق قلبى النادم حتى أننى أحن إلى الموت أكثر مما أتطلع إلى الرحمة لقد حق على الموت ، وإنى لألتمسه

(يعود المحافظ ومعه بارناردين وكلوديو متخفياً ، ثم جولييت)

الدوق : أيهما هذا الذى يدعى بارناردين ؟

المحافظ : هذا هو يا مولاى .

الدوق : لقد حدثنى راهب بأمر هذا الرجل يا هذا ، لقد زعموا لى أيها الأحمق أن لك نفساً متمردة لا تدرك شيئاً يجاوز حدود هذا العالم وأنك ترتب حياتك على هذا . لقد حكم عليك بالموت ولكنى أغفر لك كل ما ارتكبت من ذنوب دنيوية ، وأرجو أن تفيد من هذه الرحمة فتصلح من شأنك فى مستقبل أيامك عظه أيها الراهب ، فإنى أترك أمره إليك — ومن يكون هذا الذى جاءنا متخفياً .

المحافظ : هذا سجين آخر أبقيت على حياته وكان قد حقّ عليه الموت عندما أطيح برأس كلوديو وهو عظيم الشبه به حتى كأنه كلوديو نفسه

(يكشف عن وجه كلوديو)

الدوق : (مخاطباً إيزابلا) إن كان شبيهاً بأخيك فإنى أصفح عنه إكراماً لك ، هبينى يدك بحق ما أكنه لك من حب ، وقولى أنك تقبلين أن تكونى لى ، أما هو فإنه أخى أيضاً — ولندع ذلك إلى وقت أنسب وبهذا أدرك أنجلو أنه أصبح فى مأمن فإنى لأحسب أن عينيه تومضان إيه يا أنجلو إن الشر الذى أتيته قد عاد عليك بالخير فاحرص على حب زوجتك فهى بك جديرة وإنى لآنس من قلبى الرحمة على أننى أجد فى هذه الساحة رجلاً لا أستطيع الصفح عنه

(مخاطباً لوشيو) إيه أيها الإنسان لقد قلت فيّ إننى أحمق ، جباناً مستسلماً للملذات ، وإننى حمار معتوه فماذا أجرمت حتى أستحق منك كل هذا المديح الذى تغدقه على ؟

لوشيو : الحق أننى قلت ما قلت جرياً على ما ألفناه فى شباب اليوم فإن شئت شنق على ما أجرمت ، فلك ذلك ، ولكنى أوثر أن أجلد إذا تفضلت .

الدوق : فلتجلد أولاً يا سيدى ثم تشنق ، أيها المحافظ أعلن فى أرجاء المدينة أنه إذا كان ثمة امرأة أساء إليها هذا الفاسق ، وقد سمعته يقسم بأن إحداهن قد حملت منه فلتكشف عن أمرها ، وليتزوجها ، ثم ليجلدن ويشنقن بعد انقضاء مراسم الزواج

لوشيو : أتوسل إليك يا صاحب العظمة ألا تزوجنى بعاهر فقد بدر منكم للتو واللحظة أننى قد جعلت منكم دوقاً فلا تكافئنى يا مولاى الكريم بأن تجعل منى ديوثاً .

الدوق : قسماً بشرفى لأزوجكن إياها إنى لأغفر لك ما وصمتنى به من شنع وأتبع مغفرتى بالصفح عن ذنوبك الأخرى خذوه إلى السجن واعملوا على تنفيذ ما أمرنا به هنا .

لوشيو : مولاى إن الزواج بعاهر لهو الموت هرسا[٢] ، والجلد ،

---

(٢) فى هذا القول إشارة إلى عادة قديمة هى قتل الشخص بوضع أثقال كبيرة على جسمه ويقول بعضهم إن شكسبير يشير هنا أيضًا إلى قانون كان معمولاً به فى المقاطعات ، والكنيسة الإيطالية تخير العفو عن المجرم إذا تزوج بعاهر

والشنق .

الدوق : إن العيب فى أمير حقيق بهذا الجزاء .

(يخرج الضباط ومعهم لوشيو)

أما أنت ياكلوديو فاعمل على أن ترد إلى من أسأت إليها كرامتها وعزتها ، ولتنعمى بالسعادة يا ماريانا ! أشملها بحبك يا أنجلو ، فقد اعترفت على يدى ، وأنا واثق من طهارتها وعفتها ، وشكراً لك يا صديق إسكالس على ما فيك من طيبة عظيمة . وإن الأيام المقبلة لتدخر لك المزيد من تقديرنا وثنائنا ، وشكراً لك أيها المحافظ على ما بذلت من اهتمام وما حفظت من سر ولسوف نوليك منصباً أجدر بك وأليق واغفر له يا أنجلو إن جاءك برأس راجوزين بدلاً من رأس كلوديو ، فإن هذه الإساءة كان لها ما يبررها – أما أنت أيتها العزيزة إيزابلا فإن لدى فكرة فيها خيرك ، إن أعرتنى لها أذناً صاغية ، إن ما عندى ملك لك وما عندك ملك لى فهلموا بنا إلى قصرنا لنروى لكم ما يجب أن تعلموه جميعاً من خفايا هذه القصة .

رقم الإيداع	١٩٩٣/٣٥٦٥	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4038 - 9	ISBN

١/٩١/٤١٦
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)